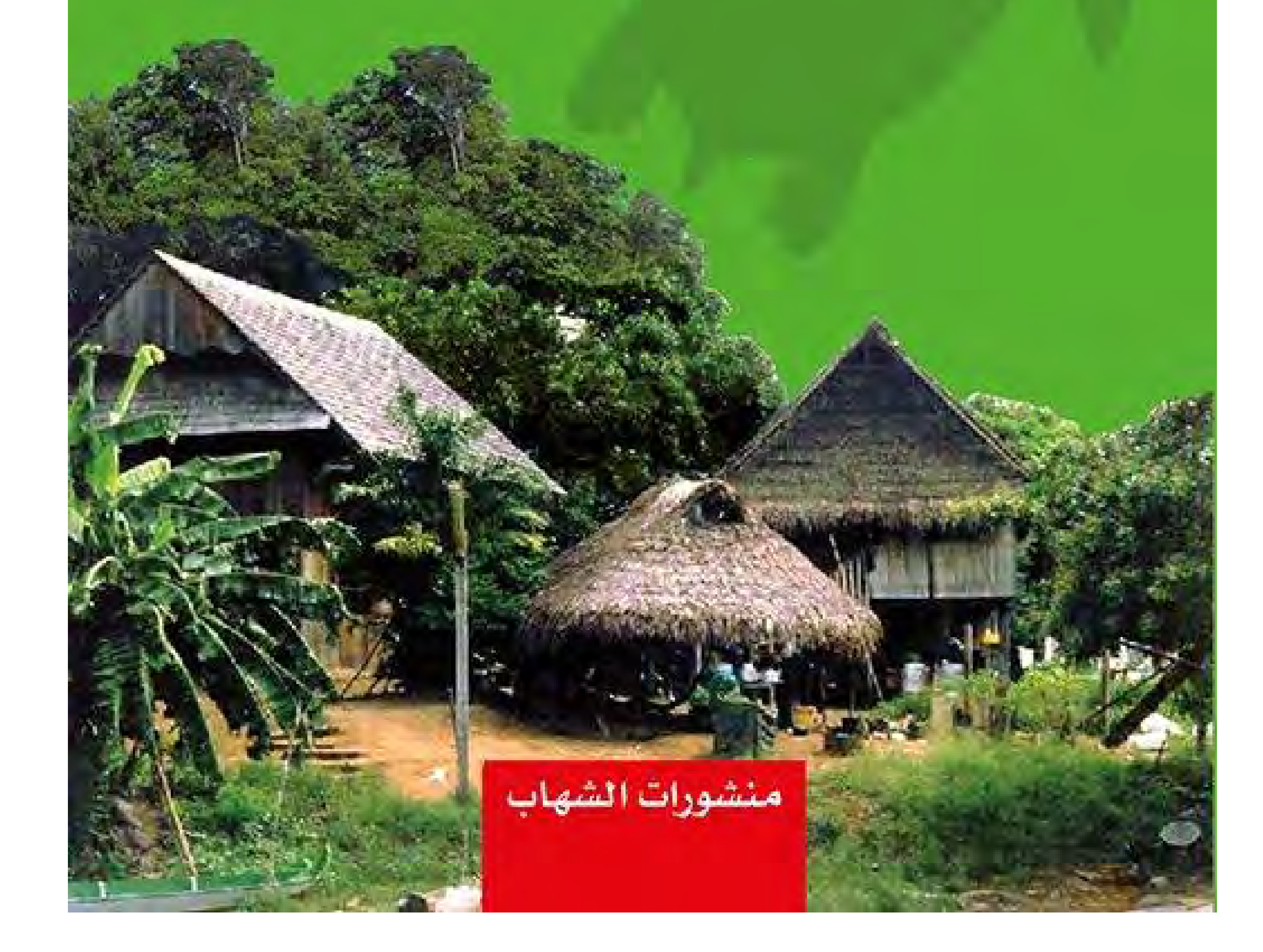
أدب الشباب
JEUNESSE

إيف ماري كليمون

من حكايا
الغوايانا



منشورات الشهاب

إيف ماري كليمون

من حكايا الغوايانا

ترجمة : أميرة غواطي

تحت إشراف السيدة إنعام بيوض

مديرة المعهد العالي العربي للترجمة

منشورات الشهاب

تمت ترجمة هذا الكتاب في إطار برنامج دعم النشر
بالمعهد الفرنسي بالجزائر.

INSTITUT
FRANÇAIS
ALGÉRIE

Titre original
12 contes de Guyane par "Yves-Marie Clément"

10، نهج إبراهيم غرافة، باب الواد، الجزائر.
الموقع الإلكتروني : www.chihabeducation.com
الهاتف : 97 54 53 021 / الفاكس : 91 51 97 021
ردمك : 978-9947-39-210-2
الإيداع القانوني : أفريل 2019

تمهيد

لا تزال حكايات غوايانا تنبض بالحياة حتى يومنا هذا، ومازالت تُروى في القرى عند سدول المساء وقد تحلّق أهلها حول النار المتّقدة. وتنهل هذه الحكايات من منبع ثقافي مدهش تتلاقح فيه الأجناس والألوان.

تعرّض السّكان الأصليون لأمريكا، والذين كانوا قد استوطنوا القارة منذ آلاف السنين، للغزو الأوروبي مع مستهلّ القرن الخامس عشر. ويشهد الواقع أن ما يسمى لدى الغربيين بـ « اكتشاف العالم الجديد » تسبّب في إفناءٍ شبه كلّي لحضارتهم. حتى أنّهم انقرضوا برمّتهم من جزر الأنتيل، ولكن مجموعات صغيرة متناثرة داخل القارة استطاعت رغم كل شيء أن تصمد في وجه هذه الإبادة العرقية الحقيقية، ولا تزال حضارتهم قائمة. وفي غوايانا على سبيل المثال تعيش قبائل « الوايانا » و « الوايومبي » و « الغاليبي » و « الإيميريلون » و « الأراواك ».

مع حلول القرن السابع عشر، أدّى الاتّجار بالسّود أو « خشب الأبنوس » - كما كانوا يُسَمَّون - إلى اجتثاثهم من أراضيهم الإفريقية الأصلية، واستُخدموا كعبيد في قارة أمريكا وجزر الكاراييب. ثمّ تمردت ثُلّة من هؤلاء المُهجّرين على أسيادهم والتجؤوا إلى عمق الغاب على ضفاف نهر الماروني وروافده، حيث ابتكروا شكلًا جديدًا من أشكال التخاطب الشفوي المُقتبس من ثقافاتهم الإفريقية. إنّهم « الزنوج المَارُونْ ».

ومع مرور الزمن، تشكّل على هذه الأرض المستعمرة مجتمعٌ هجينٌ من أجناسٍ وثقافاتٍ مختلفة، إنه مجتمع « الكريول ». ومذّاك، لم تتوقف الهجرات عن إثراء غوايانا بالسكّان، فوطئ أرضها أُناس من جزر الإنتيل وأندونيسيا ولبنان والصين واليابان والبرازيل، وحتى من شعب همونغ وفرنسا ذاتها.

وهكذا، يمكننا القول بأنّ هذا التنوع السكاني هو ما يفسّر الثراء المُذهل الذي يميّز حكايات غوايانا ؛ فقد وُلدت هذه الحكايات نتيجةً لتلاقح القصص الخرافية لسكان القارة الأصليين مع حكايات « الزنوج المارون » والأساطير الأخرى التي جاءت بها المجتمعات المُهاجرة.

وتجتمع قصص غوايانا في بعض المظاهر الشكلية، فلدى الكريول، يتلفّظ الراوي إذا ما أراد البدء في حكايته بكلمة : « كريك ! ». ويردّ عليه المستمعون، إشارةً على حسن إصغائهم وانتباههم، بكلمة « كراك ! ». ويمكن أن تتكرر هذه الصِّيَغ إبّان سرد الحكاية. أمّا قبائل « الغاليبي » فتستعمل كلمة « إلومي ! »، في حين يستخدم قبائل « الألوكوس » وهم من الزنوج المارون كلمة « جيليتين ! ».

لماذا لا يعود الأموات أبدًا إلى بلاد الأحياء

(من أساطير الوايانا)



هذه أسطورة من أساطير قبائل الوايانا، وهم من السكان الأصليين لقارة أمريكا يستقرون على طول أعالي نهر الماروني.

ها هو العجوز الهندي « ياليمي » يحتضر. لقد أضحى جسده الطّريح على سريره المعلق هزيلًا. ولم يعد يقوى على تحريك شفيته إلا بصعوبة بالغة وبالكاد ينبس ببعض الكلمات. ظلّ بصره شاخصًا إلى سماء كوخه والحياة تفرّ من عينيه السوداوين الصغيرتين، وهما العينان ذاتهما اللتان كانتا ثاقبتين تضجّان بالحياة.

ويُروى بأن ياليمي حين شبابه كان صيّادًا ماهرًا. كان بحوزته أجمل الكلاب في المنطقة، وعندما يخرج للغابة لا يرجع أبدًا خاوي اليدين. ولم يكن يُنافس براعته في الصيد إلّا نمر « اليغور ».

أمّا الآن فها هو مُمدد هنالك، هَرِمًا خائر القوى.

كانت زوجته « هيكيلينا »، السّاهرة على رعايته منذ أيّام وليال، تُخفي وجهها خلف كفّيها وقد بدا الألم عليه. ليست تقدر على كبح دموعها. وحينما تشهق كان شعرها الفاحم الطويل ينساب كالأمواج.

لطالما كان فراق الأحباب أمرًا صعبًا. ثم، ماذا يحلّ بالبشر بعد مماتهم ؟ هذا ما كان يدور في خُلد هيكيلينا.

وبغتة، التفّ زوجها برأسه، والتقط نفسًا عميقًا فارتفع صدره ذو الجلد المتشقّق، ثمّ ابتسم. عندها أمسكت هيكيلينا يده فوجدتها أبرد من مياه الجدول، فجعلت تُدفّئها.

انفرجت شفتا ياليمي قليلًا. خرج نفسٌ من فمه، ثمّ غمغمةٌ لا تكاد تُسمع :

— سأموت...

انحنت هيكيلينا عليه كي يتّضح لها ما يقول، وردّد ياليمي :

— سأموت.

ثم استجمع ما بقي له من قوى، وقال :

— أريدكم أن تحرقوا جسدي. هذه رغبتي الأخيرة. وهكذا، سأعود لأعيش في القرية بين الأحياء.

دُهشت هيكيلينا من هذه الكلمات التي كانت آخر ما تلفّظ به زوجها. وأحسّت قلبها يرتجف في صدرها. لقد نبّشت كثيرًا في ذاكرتها، ولكنها لم تعثر على أيّ اسم لميّت عاد إلى القرية للعيش مع الأحياء !

غير أنّ هيكيلينا صدّقت وعد ياليمي. وشدّت بقوّة على يدي زوجها المحتضر، فأحسّت كما لو أنّ فراشاتٍ تحلّق على أطراف أناملها. فعاد إشراق ابتسامتها، وجفّت الدموع المالحة فوق خدودها. ثم خرجت من الكوخ لتعلن على مسامع الجميع في القرية الرغبة الأخيرة لزوجها.

ومضى الرجال والنساء إلى الغابة لجمع الخشب اللازم من أجل حرق الجثّة. وانتقوا الأغصان الجافّة لشجر تيبيمو[1] التي قطّعوها بسيوفهم المسنونة. ثم كوّموا حزم العيدان والحطب في حقل العجوز المحتضر حيث ستُقام مراسيم الحرق.

في تلك الأمسية، انطفأ نور عيني ياليمي إلى الأبد. ودخلت هيكيلينا في حداد وقد أضناها الحزن. وحلقت شعر رأسها

1. تيبيمو : نوع من الأشجار يُستخدم خشبها في مراسيم حرق الجثث.

بأكمله وفقًا لما تقتضيه التقاليد. ثم جمعت أواني ياليمي الفخارية واتجهت صوب النّهر حيث كسرتها ثم ألقت بشظاياها في المياه. وعندها عادت إلى الكوخ حيث باتت الليل كلّه ساهرةً بجانب جثة زوجها المتوفى.

وفي الغد، طُليت جثّة ياليمي بمادة الروكو[1]، ثم غُلّف بداخل لِحاف نسجته هيكيلينا من القطن الأبيض، واقتيد إلى حيث يوجد الحطب. أضرم عرّاف القرية النار في الأغصان، وزحف اللهيب الأول على كفن المتوفى فالتهمه. وعندها باشرت هكيلينا في الغناء :

— رحلة سعيدة يا ياليمي ! عُد إن كنت ترغب في ذلك ! رحلة سعيدة !

بعد انتهاء مراسم الحرق، هرع الرجال والنسوة على عجل عائدين إلى القرية خشية أن يتسمّموا بسبب الأدخنة.

وفي ذلك المساء، لم يكن قد بقي من جثّة ياليمي إلا كومة صغيرة من الرّماد وبعض العظام المُبيَضّة بفعل النيران. فقامت هيكيلينا بقطف بعض الأوراق من شجرة الكومانا[2] لتحمي بها الرماد والعظام من الأمطار. غير أنها ما إن دنت

1. روكو : صباغ يستخرج من نبات الأشيوت الذي ينمو في المناطق المدارية في القارة الأمريكية.

2. كومانا : نوع من النخيل، تُضفر أوراقها وتُستعمل لأغراض شتى.

من المَحرق حتى لاحظت أن قلب وعيني ياليمي لا يزالون مُتوهّجين ! فعادت أدراجها وهي مرعوبة.

وفي الليلة الموالية، هاجمت الكثير من الكوابيس هيكيلينا في نومها، حيث لاح لها ياليمي بقلبٍ وعينين يأكلهم اللهب. كما عاد جسمه شابًّا، وقد رفع يديه إلى السماء وقال :

— هيكيلينا، لَملمي رمادي، وألقي به في النهر حتى تنطفئ هذه النار التي تحرقني !

عند حلول الفجر، ذهبت هيكيلينا إلى الحقل الذي أُحرق فيه زوجها كي تغرس بعض الفسائل من نبات الكاسافا. كانت تقبض بإحكام على فأسها وكابوس الليلة الماضية يخترق ذاكرتها.

اشتغلت طوال النّهار دون رغبة حقيقية في العمل وقد تملّكها اليأس بعد وفاة زوجها. وجعلت تبكي بينما تغرس براعم الكاسافا في الأرض.

وعندما كانت عائدة من الحقل في ذلك المساء سمعت من خلفها صوت أنفاسٍ ثم حفيف أغصانٍ يابسة. توقفت مُجمّدةً في مكانها. وجعلت تلوّح فأسها بيدين مرتجفتين. وقالت :

— من هُنا ؟

— هل أنت نمر اليغور ؟ هل أنت اليولوك[1]، شبح الغابة.

ثم برز أمامها شبحٌ من بين ظلال الغابة، كان يشبه ذاك الذي رأته في كابوسها. فصاحت :

ياليمي !

كان ياليمي يبدو في جسد شاب، وبعض اللهب يخرج من جسمه وعينيه. تقدّم نحو هيكيلينا وقال :

اجمعي رمادي وألقي به في النهر كي تنطفئ هذه النار التي تحرقني !

عندها لاذت هيكيلينا بالفرار وهي تصرخ.

مرّت الأيام، ودأب ياليمي على الظهور كل مساء لزوجته ولأشخاص آخرين من القرية. وما إن يقابل أحدًا حتى يطلب منه :

— اجمع رمادي وألقي به في النهر كي تنطفئ هذه النار التي تحرقني !

وكلّما رآه أحد من الرجال والنساء إلا ويلوذ بالفرار صارخًا.

لم يعد ياليمي يُطيق هذا الوضع. وفي نهاية المطاف، دخل إلى القرية بقلبه وعينيه المُشتعلين على الدوام.

---

1. يولوك : شبح الغابة عند الهنود الأمريكان.

وخاطب هيكيلينا والقرويّين الآخرين قائلًا :

— من منكم سيتجرأ أخيرًا على إلقاء رمادي في النهر ؟

لم يُجبه أحد، ولا حتّى زوجته، بعد أن تملّكهم الرعب لرؤية هذا الشبح.

عندئذ، صاح ياليمي غاضبًا :

— إذا كان الأمر هكذا، فستكون هذه آخر مرّة ترونني فيها ! ذلك أنني سأعود للعيش مع الأموات !

ثم أدار لهم ظهره وأردف :

— وبدايةً من هذا اليوم لن يعود أحدٌ من الموتى للعيش بين الأحياء أبدًا !

وفجأة، بدأ ضمير هيكيلينا في وخزها. فانطلقت نحو زوجها فاتحةً ذراعيها. ولكن هيهات، فقد كان ياليمي قد التحق بعالم الأرواح فعلًا.

الحصان والبغل

(من حكايا الكريول)



إلى حدّ الساعة، لا يزال سكان مدينة « كايان » يتناقلون فيما بينهم مُغامرة « أوغستين ستوت » مع حصانه وبغله.

« كريك...

وكراك ! »

كان أوغستين ستوت يقطن في بيت خشبي صغير مرفوعٍ على أوتاد، غير بعيد عن المدينة. وفضلًا عن الدواجن وطيور الكناريا التي ترتع في فنائه، كان أغستين يملك حصانًا وبغلًا.

كان الحصان ذا هيئة مهيبة تكسوه سُمرة متلألئة. وكان سيّده يعتني بأناقته ويمشّط له شعره كل مساء. وكثيراً ما كان يغدق عليه بالإطراء ويُخاطبه كما لو أنّه صديقه. وما إن تظهر بوادر المطر حتّى يُسارع لتوفير مأوى له. هذا، وقد أمكن للحيوان النبيل أن يحوز على صهوة جلدية، ويستطيب من أحسن المراعي. وهكذا يمكننا القول بأن الحصان من دون شك كان سعيدًا.

أمّا البغل فقد كان حيوانًا ذا هيئة حقيرة يكسوه شعر قبيح ضارب إلى الرمادي يرتع فيه الجرب والقمل. وقد بلغ من النّحافة أنْ برزت عظامه عن جلده، كما كان الذباب يحوم باستمرار حول أجفانه.

لم يكن البغل يَلقى أيّ عناية أو يسمع أيّ كلمة طيّبة. بل على العكس، كان يروق لسيّده أن يؤذيه ويُذيقه الضرب بعصاه تاركًا آثارها على مؤخّرته.

كانت عيناه الواسعتان تذرفان دمع الأسى والحزن، وبطنه الخاوي يصرخ تحت وطأة الجوع. كما كان يقضي ليله في العراء فريسةً للحشرات ولسعاتها اللافحة.

دأب البغل على حمل أثقل الأعباء وتحت جميع الظروف الجوية. المسكين ! كان جلده في فصل الجفاف يُشوى تحت

لهيب الشمس المتّقدة، وفي فصل الأمطار كانت الديدان القبيحة والبراغيث والحمّى بشتى أنواعها تتكالب عليه.

كان أوغستين يرتزق من صيد السمك. وكل صباح، يحضّر عُدّته ويذهب إلى جرف نهر « ماهوري » حيث يُرسي عادةً قاربه. وكان يضع متعلّقات الصيد في أكياس كبيرة، مثل السّكّين والشّباك وغمّازات خيط الصَّيد والأدوات والأواني والموقد ووجبات الطعام وقارورة النبيذ. ثم، ومن دون أدنى عناية، يلقي بكل هذا على ظهر البغل.

أما الحصان فيكتفي بحمل صهوته التي لم يمتطها أغستين ستوت قطّ خشية أن يُتلفها. لقد كان يفخر بحصانه غاية الفخر، ذلك أنّه يُمثّل لديه ولدى أقربائه وخلّانه علامةً من علامات الثراء. وعلى هذه الحال اعتادت الأمور أن تجري منذ عدة سنوات.

ولكن، ذات مساء، أصيب البغل، بعد أن استُنفذت كل قواه، بمرض طرحه أرضًا. حينما حلّ الليل استحكمت الحمى بجسده. ورغم لطافة الجو، كان يرتعد حتّى أخمص حوافره وأسنانه تصطكّ. كان جلده يفيض عرقًا، وأذناه الطويلتان مُتدلدلتان على طرفي رأسه، وعيناه تتدحرجان داخل محجريهما ككرتين تحت الشمس، إذ كان من المؤلم أن يفتحهما.

وفي خضمّ هذيانه، تلجلج البغل قائلًا :

— غداً، سيرأف سيدي لحالي. وسيُحمّل الأكياس على ظهر الحصان بينما أركن أنا إلى الراحة.

في الغد، استيقظت القرية مع صياح الديك على غشاوة من الضباب، في إشارة على أن اليوم سيكون قائظًا للغاية. وأخذ سرب من طيور الطوقان يحلّق في السماء فوق أكواخ الكريوليون والمنازل الأجورية لمدينة كايان.

دخل أوغستين ستوت إلى الإسطبل وهو يصفّر. وأكرم الحصان بعبارة مديح فقال : « هيّا أيّها الحصان الجميل ». ثم أطرى عليه وقدّم له حفنة من الفول السوداني حُمّص في العشية السابقة.

وبالخارج، كان البغل يغطّ في نومه، وقد استند بجنبه على أحد الأسوار فتسرّبت إلى جسده بعض البرودة اللطيفة. كانت الحمى لا تزال تفتّ في عضده، والرعشة لم تُزايله بعد. أيقظه أوغستين ستوت بضربة قاسية من عصاه، وقال :

— انهض أيها البغل العجوز !

فجعل البغل يئنّ، وقام مُتألّمًا ألمًا شديدًا. غير أنّ سيّده لم يلحظ ما كان به من ضعف حتّى.

— هي-هان !

وكأنّ شيئاً لم يحدث، طرح ستوت كيسيه بعنف على ظهر البغل ودفعه إلى المشي.

كان الطّريق إلى غاية جرف النهر طويلا. وكانت ركبتا البغل ترتخيان فيتعثر عند كل خطوة. كاد أن ينهار تمامًا أكثر من مرّة، وبدا حِمله له أثقل من أي وقت مضى.

وفي المقدمة، كان الحصان يمشي بخطى متناغمة مُشرئبّ الهامة، وكانت خصلات ذيله الطويلة تَخفق في الهواء فتصطاد الذباب المتطاير.

كان أوغستين ستوت يسير في الخلف حاملا عصاه وهو يدندن بنغمات من أغاني الكرنفال، وبين الفينة والأخرى، يهوي بالغصن الخشبي الأخضر على ظهر البغل فيلذع جلده، ما يجعله يصرخ :

— هي-هان !

في ذلك اليوم، بدا وأنّ الشمس موجودة في كل مكان : على النهر، وفي السماء وعلى الدرب الترابي الأحمر. كانت مياه نهر الماهوري الملأى بالمُوَيْجات تتلألأ بآلاف الأضواء. وكان القيظ ينتشر خلال الغابة مثل نهر من الحمم. والحرارة تُحدث طنينًا في أذني البغل المسكين.

وأخيرًا، وصل الركب إلى مقصده. فأنزل أوغستين ستوت الحِمل عن كاهل الحيوان المسكين، ودفع قاربه على الأمواج وابتعد تجرّه التيّارات المائيّة.

انتهز البغل الفرصة ليستلقي تحت ظل شجرة كبيرة من أشجار القابوق[1] مُفترشًا نبات السرخس. تمددت ركبتاه، وبدا كما لو أنّ طراوة الأرض قد أزاحت عنه ألم الضرب وفتك الحمّى. ولأول مرة في حياته تجرّأ على مُخاطبة الحصان قائلًا :

— أنا في غاية الإنهاك يا رفيقي. فهل تتكرّم بمساعدتي حين عودتنا، وتحمل عنّي الأمتعة ؟

صهل الحصان مشدوهًا ورمق البغل بنظرة ازدراء، ثم أجاب :

— أحمل عنك الأمتعة ؟ لا تحلم بهذا ! فأنا لست بهيمة من فصيلتك !

فقال البغل :

— يمكننا أن نتشاطر العبء، ويحمل كل واحد نصفه.

— لا !

— هذه المرّة فقط !

قال الحصان :

1. القابوق : شجرة تنمو في المناطق المدارية.

— أعتقد بأنك عديم الشجاعة.

— أرجوك.

في آخر الأمر، استشاط الحصان غضبًا، وقال :

— إنّ سرجي وعُدّتي تكفياني، ألا تعتقد ذلك ؟

ثم انصرف ليرعى في مكان بعيد بعد أن ضاق ذرعًا بتوسلات البغل. وراح البغل يتجرع مرارة الحسرة، وقد أحس بألم حاد يخترق قلبه. وأدرك بأنّ الموت سيأتيه قبل نهاية اليوم !

عندما عاد أغستين ستوت من الصيد في تلك الأمسية، ألفى جثّة البغل ممدّدة على فراش السرخس. التقط عصاه وقطّب حاجبيه وصكّ على أسنانه، ثم قال :

— انهض أيها البغل العجوز !

وانهال عليه ضربًا مبرحًا، ولكنّ البغل لم يحرّك ساكنًا. لقد كان الحيوان المسكين جثّة هامدة مُتيبّسة. انطفأت شُعلة حدقتيه الواسعتين، فاسحةً المجال لمسحة حزن صغيرة مُمتزجة بنفحة سلام وسكينة.

أما الحصان فقد تجرّع علقم الندم حتى آخر رمق في عمره بسبب امتناعه عن مساعدة رفيقه البغل، ذلك أن أغستين ستوت كان يُحمّل على ظهره كل صباح كيسين ضخمين ثم

يمتطيه هو أيضًا جالسًا على جلد البغل الذي فرشه فوق السرج حمايةً له من التلف.

وهكذا، كان الحصان يسير مطأطئ الرأس مُحمَّلًا كالبغل بأعباء ثقيلة. وإذا ما تنكّر له الحظ لحظةً وتعثّر على حجرٍ في الطريق، كان سيّده يبادر بجلده باستخدام حزمة من الأخشاب الطّرية الخضراء.

طائر مالك الحزين وحيوان الأبسوم[1]

(من حكايا الكريول)



تعطي هذه الحكاية المتداولة بين سكان مدينة « سان لورون دو ماروني » تفسيرًا عن السبب وراء وقوف مالك الحزين الدّائم على أحد قوائمه، وكذا، عمّا جعل الأبسوم يتحوّل إلى حيوان ليلي.

ضاق « سانت لوس »، وهو من سكان مدينة سان لورون دو ماروني، ذرعًا من رؤية مدجنته وقد صارت نهبًا لحيوانات

---

1. الأبسوم : حيوان جرابي يتسلق الأشجار. يطلق عليه الكريوليون اسم « بيان ».

الغابة، إذ كانت الثعالب وثعابين العشب وحيوانات القوطي[1] وقطط المارغاي[2] تمرح وتسرح فيها باستمتاع. فكل يوم، كان أحد هؤلاء الأوغاد يلتهم، دون وازع ولا رادع، دجاجة من دجاجاته !

كان حيوان الأبسوم أعتى أعدائه. لقد كان يملك من المكر ما يمكّنه من مباغتة يقظة الكلاب، ومن الخبث ما يجعله يفلت من قبضة مُطارديه على الدوام.

ذات يوم، قرر سانت لوس أن يحلّ هذه المعضلة حلًّا جذريًّا ودائمًا، فطلب النصيحة من شيوخ البلدة الذين قالوا له :

— أحضر كلب حراسة جيّد، وسرعان ما سيُخلّصك من زُوّارك هؤلاء.

عندها قصد سانت لوس إحدى القرى الهندية حيث عدد الكلاب أكبر من عدد السكان. واقتنى كلب حراسة ضخم معروف بشراسته. وضع سانت لوس الحيوان في المدجنة وأوعز إليه بمهمة مُطاردة كل دخيل. وفي أول مساء له، قتل الكلب ثعلبًا. وفي الثاني، قضى على قطّين برّيين. ولكنه لم يفلح في الثالث في ردع الأبسوم عن افتراس ست دجاجات سِمَان.

---

1. القوطي : حيوان ثديي يعيش متعرّشًا على الأشجار.

2. المارغاي : نوع من القطط البرّية.

ومرة أخرى، لجأ سانت لوس المسكين إلى الشيوخ طلبًا للرأي والمشورة. فقالوا له :

— نم داخل المدجنة ! ولن يتمكن الأبسوم من الإفلات منك !

غير أن الأبسوم كان في غاية الفطنة. ودائمًا ما ينجح في مخادعة يقظة سانت لوس الذي قرر الاستسلام أخيرًا.

ذات ليلة، بينما هو غاطٌّ في نومه، لاح لسانت لوس شبح وقال له :

— سانت لوس، هل تريد أن تتخلص من سارقي دجاجاتك ؟

— أجل، لو أستطيع ذلك ! ولكنّي، على ما أعتقد، جرّبت كل حيلي دون جدوى.

— لا ! لا تزال بيدك ورقة رابحة. يعيش في الغابة مالك الحزين المعروف بمهارته في حراسة الدواجن. أُحصل على هذا الطائر ذي القوائم الطويلة وستكون دجاجاتك في مأمن من كل خطر !

تعجّب سانت لويس :

— مالك الحزين !

— بالضبط. مالك الحزين هذا طائرٌ مُرعب، سيقانه الطويلة تسمح له بالتملّص من أنياب خصومه. وبمنقاره

المدبّب يفقأ أعين أعدائه. كما أنّه سريع كالبرق. وما على كلاب الغابات والثعالب والأبسومات والثعابين وقطط المارغاي الأخرى إلّا توخّي الحذر والانتباه منه.

استفهم سانت لوس :

— وحتى الأبسوم ؟

أكد الشبح :

— وحتى الأبسوم !

قصد سانت لوس الغابة، وسار على دروبها ساعات وساعات. وفي نهاية المطاف حصل من أحد أصدقائه الصيادين على مالك الحزين ذائع الصيت.

وضع سانت لوس الطائر بين الدجاج على مربضٍ يُطلّ على كافة نواحي المكان. ثم حدّث نفسه قائلاً : آمل أن أنعم أخيرًا براحة البال.

في أول ليلة، شقّ ثعبانٌ عشبٍ طويل ممرًّا لنفسه تحت سياج الحظيرة وتقدّم ببطء وهو متأكد بأن الطائر لا يراه، ولكنّ ضوء القمر المنعكس على حراشفه أثار انتباه العين الثاقبة لحارس المكان. وانتظر مالك الحزين بصبر ريثما يصل الثعبان إلى متناول منقاره. وبوثبة واحدة جثم الطائر على حلقات الثعبان، واخترق رأسه بضربة مُركَزّة من منقاره، فأخذ الثعبان يتلوى على سيقان الطائر الطويلة ثم مات.

في اليوم الموالي، جاء الدور على كلب الغابة[1] كي يُداهم المدجنة. شنّ هذا الحيوان المُهاب لكفاءته في الصيد هجومه عند منتصف الليل مُعتقدًا أنّ الجميع نيام. وبعدما اطمأنّ إلى أنّ مالك الحزين ساكنٌ في مكانه، وارب باب المدجنة قليلًا، وصوّب نظره نحو أجمل الدجاجات.

لعق شفتيه، ثم فتح فمه المدجّج بالأنياب القويّة. وفي ذات هذه اللحظة، انهال عليه مالك الحزين بمنقاره مُسدّدًا وابلًا من الضربات على رأسه وعنقه ومنكبيه ثم ظهره.

وضع كلب الغابة ذيله بين سيقانه، وولّى هاربًا وهو يئنّ ألمًا، ثم اختفى في أعماق الغابة. ومع أنّ الأبسوم كان شاهدًا على خيبات الثعبان وكلب الغابة، إلا أنّ هذا لم يكن كافيًا لبثّ الرّعب في نفسه.

في الغابة، لم يكن الحديث يدور إلا عن مالك الحزين، ذلك الذي يصرع في لمح البصر سارقي دجاج سانت لوس الذي صار ينام قرير العين مُطمئنًّا.

ولكن الأبسوم لم يكن يحفل كثيرًا بهذا الكلام، وكان يقول للمحيطين به :

— أنا أكثر الحيوانات مكرًا في الغابة، ولن يَحُول حارسٌ سفيهٌ يكسوه الريش دون أن ألتهم ما يحلو لي من دجاج !

1. كلب الغابة : كلب بري (نادر جدًا).

وعلى خلاف سلفَيْه ذوي الحظ العاثر، عزم الأبسوم على التحرّك في وضح النهار كي يباغت يقظة مالك الحزين.

عند منتصف النهار، باشر الأبسوم في حفر نفقٍ تحت الأرض، ولم يَطُل عليه الأمد حتى أصبح في وسطِ المدجنة، وجعل يترقّب الوقت الذي يقعد فيه مالك الحزين ذو الكساء الأبيض للغداء. وأخذ كامل وقته في انتقاء ضحيته القادمة وهو متوارٍ خلف كومة من القش. وأخيرًا استقرّ رأيه على دجاجة سمينة جدًّا، هي من تحضن البيض عادةً. وراح الأبسوم يعتدل بجسده في حذر شديد، ولفّ ذيله ببطء حول مربضه، ثم وارب فمه كاشفًا عن ثغرٍ أكثر سوادًا من الفرن. ولكنّ مالك الحزين لم يمهله الوقتَ ليطبق بفكّيه على فريسته، وجعل يطعن جلده بضربات عنيفة من منقاره.

غرس الأبسوم رأسه بين كتفيه، وتوارى في أقصى سرعة داخل النفق الذي حفره. ثم توجّه إلى مالك الحزين وهو في غمرة الغيظ بسبب الهزيمة التي مُني بها، فقال :

— قبل حلول الغد، سآخذ بثأري منك ومن كل طيور فصيلتك ؟

مع عودة الأبسوم إلى الغابة، أخذت جميع الحيوانات في الاستهزاء به، وأسمعته كلامًا من قبيل :

— لست إلا مُدّعِيًا !

— لقد قهرك حيوان يكسوه الرّيش !

وعلى إثر هذا، اختفى الأبسوم داخل جحره وباشر في تحضير مخطط ثأره.

كانت أسرة مالك الحزين تعيش على شجرة عملاقة تطلّ على خليج صغير. فأرسل حارس الدجاج صديقه الطائر الصّارخ[1] في ذلك المساء لتحذير أهله من الخطر المحدق بهم، ذلك أنه لم يكن في وسعه ترك الدجاجات والفراخ والمدجنة.

وفي طرفة عين، وصل المبعوث إلى قلب الغابة، وحطّ على أحد الأغصان، ثم اجتمع من حوله أهل مالك الحزين برمّتهم، من أكبرهم إلى أصغرهم. وقال لهم :

— أصدقائي، سيحضر الأبسوم بعد قليل ليُباغتكم في أعشاشكم، وقد عقد العزم والنية على التهامكم عن بكرة أبيكم.

قالت أم مالك الحزين في ذعر :

— وماذا سنفعل ؟

و أضاف الأب في قلق :

— هل توجد وسيلة لإنقاذنا ؟

1. الطائر الصّارخ : عصفور ينطلق بالصفير ما إن يرى أي غريب يدخل إلى الغابة.

دنا الطائر الصّارخ من المجموعة على جناح السرعة، وقال في صوت خافت :

— إن ابنكم داهية، لقد رسم خطّة جهنمية. أنصتوا إليّ جيّدًا !

فأرهف الجميع له السمع، وأردف الطائر :

— هذه الليلة ستنامون على ساق واحدة.

قالت الجدة في اندهاش :

— على ساقٍ واحدة ؟!

وقال الجد متعجّبًا :

— هذا مستحيل !

وعندها قال الطائر الصارخ موضّحًا :

— لا مناص لكم من فعل ذلك ؛ وهكذا لن يتعرف عليكم الأبسوم، وحينما يتشبّث بأصغر غُصنٍ من أغصان الشجرة تقفزون عليه جميعًا فيهوي أرضًا.

كانت الشمس توشك على الغروب في الغابة الكبيرة. وانتصبت طيور مالك الحزين على ساق واحدة امتثالًا لنصائح الطائر الصّارخ. ولمّا خيّم الظّلام تصنّعت النوم. عند منتصف الليل لاح طيفٌ وهو يتسلل أسفل الشجرة العملاقة. وفي قفزتين اثنتين، كان الطيف قد بلغ أعلى أفنان الشجرة.

وتصاعدت رائحة الأبسوم المُخيفة إلى غاية مناخير الطيور، فصارت أجساد الصّغار ترتعش تحت زغبها.

في باديّ الأمر، اقترب الأبسوم من الجد، وتهيّأ للإجهاز عليه، ولكنّ شيئًا ما جعله يتردّد. وغمغم قائلًا :

— هذا ليس مالك الحزين، فمالك الحزين لديه ساقان طويلتان.

ثم استأنف دربه. وبعد برهة، وجد نفسه في مُقابلة الوالد وجهًا لوجه. واستعجب مرة أخرى :

— طائر آخر بساق واحدة !

لمّا وصل الأبسوم إلى طرف أكثر أغصان الشجرة دقّةً، هبّت عليه كل الطيور في هجمة واحدة. فسقط الحيوان سقطة مهولة وتدحرج بين الأوراق.

وعلى الأرض، كان عشرون منقارًا حادًّا يهاجمونه في شتّى مواضع جسده. وهكذا، فُقِئت عين الأبسوم ! ومنذ تلك الليلة المشهودة، صار مالك الحزين ينام منتصبًا على ساق واحدة. أمّا الأبسوم الذي فقد بصره، فأضحى لا يخرج للصيد إلا ليلًا.

مكر أنانسي

(من حكايا الزّنوج المارون)



أنانسي إحدى الشخصيات البارزة في حكايات الزنوج المارون، ويعود أصل هذه الشخصية الشديدة المكر والتي تتمثّل أحيانًا في شكل إنسان، وتتقمّص أحيانًا أخرى صورة عنكبوت، إلى أساطير أفريقيا البعيدة. في هذه القصة، يُظهر مكر أنانسي بطريقة موحية جدًّا الميل الفطري للتجارة لدى الزنوج المارون، والذين لا يزالون يكسبون قوتهم من المعاملات التبادلية عبر نهر الماروني.

« ديلينتين...

دايتين ! »

ذات يوم، جمع ملك البلاد رعاياه كي يلقي على مسامعهم خطابًا هامًّا، فهبّت كل حيوانات الغابة إليه مثل نمر اليغور وخنزير البيكاري[1] وخنزير الغابة، والسلحفاة وثعبان العشب، كما حضرت « تايرا » التي كانت من فصيلة الدلق، و « بيان » من الأبسوم، و « أنانسي » العنكبوت. وقطعت هذه الحيوانات وغيرها الأدغال والخلجان والجبال والأنهار لتجتمع في ساحة القرية.

جلس الملك على عرشه، وجعل يسعل، ثم أعلن :

— لقد طعنت في السن، وقبل أن أُفارق الحياة، أود أن أزوّج ابنتي من ذاك الذي يهديني أجمل سفينة بين السفن.

وعندها سادت بين الحضور صيحات إعجاب، ذلك أن ابنة الملك كانت أجمل فتاة في المملكة، كما أن زوجها في المستقبل سيصير ملكًا على البلاد. ولكنّ إحضار أجمل سفينة إلى القرية ليس بالأمر الهيّن !

دمدم خنزير الغابة :

— أجمل السّفن، كيف أُحصّل المال الكافي لاقتناء مثل هذه السفينة ؟

---

1. البيكاري : نوع من الخنازير

وهز « بيان » الأبسوم كتفيه قائلًا :

— أين أجد أجمل السفن على الأرض ؟

أمّا ثعبان العشب فلم يكترث بالأمر، وعاد أدراجه زاحفًا عبر الغابات الكثّة، مُقتنعًا بأنّ هذه المسألة لا تعنيه في شيء.

ومن حينها، ما عاد أهل الغابة يتداولون إلّا سؤالًا واحدًا : من هذا الّذي سيُهدي للملك أجمل سفينة على الأرض ؟

عنّت على بال أنانسي، العنكبوت الذي طبقت شهرته الأفاق في الدّهاء، فكرة صغيرة بشأن هذه المسألة. وحينما كان الجميع ينكفئون مُنسحبين، تقدّم أنانسي ليمثل بين يدي الملك، وقال :

— يا جلالة الملك، هل لي أن أطلب منك خدمة ؟

— خدمة ؟! ردّد الملك العجوز، ثم قطّب حاجبيه، فقد كان يعلم أنه حينما يتعلّق الأمر بأنانسي، فإنّ أيّ شيء يمكن أن يحدث. وقال له :

— تستطيع دائمًا أن تطلب ما تريد.

فرك أنانسي بين قوائمه وقال :

— أعطني حبّة ذُرة !

قال الملك في دهشة :

— حبة ذُرة ؟!

كرّر أنانسي الطلب :

— أعطني حبّة ذُرة، وعمّا قريب، سآتيك بأجمل سفينة.

على الفور، أرسل الملك من يجلب له حبّة ذرة من مزرعته الخاصة وقدّمها لأنانسي. ثم راح يُراقب العنكبوتَ من قمّة عرشه وهو يبتعد خلال مياه نهر الماروني الهادئة مترنّمًا :

« لقد حصلت على حبّة ذرة ».

وفكّر الملك : « يا له من شخصية مُسلّية، هذا الأنانسي. إنّه لا يملك شيئًا فكيف سيتمكن من إهدائي أجمل سفينة ؟ ثم ماذا عساه سيفعل بحبّة الذُّرة تلك ؟ إنّها بالكاد تكفي لإطعام فأر صغير... ».

ولكنّ حِيَل أنانسي غالبًا ما تُفوق كل التّوقّعات.

جذّف أنانسي لساعات طويلة بين صخور ومطبّات أعالي نهر الماهوني. وأفلح في عبور مطبّات خطيرة جدًّا.

لقد كان ذا شعبيّة جارفة في البلاد، فما إن يحلّ بأيّ قرية حتّى يسارع أهلها في دعوته للاستراحة عندهم. وصادف أن مرّ على قريةٍ حيث كانت بعض النسوة مُنشغلات بغسل أوانيهنّ، فنادينه :

— أنانسي، توقّف ! وهلمّ إلينا !

غير أنه في هذا اليوم، وبدلًا من أن يتوجّه إلى ضفة النهر ويُرسي بقاربه على اليابسة، ردّ عليهن :

— مستحيل أيتها الصديقات، فلدي مُهمّة أقضيها للملك !

واستأنف مسيره.

عند حلول المساء، وصل إلى مشارف قرية « لونغاتابيكي »، فصاح السكان من على الضفة :

— أنانسي توقف ! وأقبل إلينا !

فردّ أنانسي عليهم هم كذلك :

— مستحيل أيها الأصدقاء، فلدي مُهمّة أقضيها للملك !

لكنّ القرويين ألحّوا عليه في الطلب، وقالوا :

— سيحلّ الليل قريبًا، وليس من المُحبّذ أن تُبحر في العتمة عبر النهر وحيدًا.

فقبل أنانسي النّزول في ضيافتهم وقد أعياه التجذيف طيلة النهار. ودنا من جرف النّهر حيث شدّ الرجال زورقه إلى اليابسة بينما راحت النساء يُحضّرن له الطعام المكوّن من السمك والأرز، وكوخًا يقضي فيه ليلته.

ولكنّ أنانسي (الذي كان مُمثّلًا بارعًا) عقد حاجبيه وألبس وجهه قناع الرّجل المهموم. فلاحظت إحدى النساء هيئته الغريبة تلك، وسألته :

— هل هناك من خطب يا أنانسي ؟ يبدو على ملامحك الهمّ والغمّ.

وأدرك بأن حيلته قد انطلت عليها، فقال معترفًا :

— إنني أخفي سرًّا.

ثم انحنى نحوها وهمس في تجويف أذنها :

— لديّ في جيبي حبّة ذرة تركها الملك أمانةً عندي. ولا أريد أن أفقدها ولو بذلت مُقابل ذلك كنوز الدّنيا كلّها !

وردّت المرأة متعجّبةً :

— هذا كلّ ما في الأمر ؟ أعطني إيّاها ! وستستعيدها منّي غدًا صباحًا عند استيقاظك.

أخذت المرأة حبّة الذُّرة ودسّتها داخل جحر صراصير، وقالت في يقين :

— هكذا، ستكون الحبّة في مأمن !

في تلك الأمسية، أقيم احتفال ضخم على شرف أنانسي. حيث جعل كل واحد يقصّ أفضل ما لديه من حكايات أمام الجمع المتحلق حول النار وهم يتلذّذون بأكل اللّحم المُدخّن وحبّات الكاسافا المقلية. وإثر انتهاء الحفل، خلد الجميع إلى النوم.

عند منتصف الليل، نهض أنانسي من فراشه في سرّيّة تامة، واطمأنّ من أن الجميع يغطّون في النوم خلف أبوابهم

المغلقة، ثم انسلّ خارج كوخه واتّجه صوب جحر الصراصير. وهناك، استرجع حبة الذُّرة وألقى بها بعيدًا في مياه نهر الماروني، ثم عاد أدراجه في هدوء ليستريح.

حينما استيقظ في اليوم الموالي، حيّا النسوة اللاتي كنّ يتأهّبن للذهاب إلى العمل في الحقول، ثم طلب استرداد حبّته. فنُبش جحر الصراصير، و طبعًا، لم يُعثر بداخله على شيء ! وحينذاك رفع أنانسي أرجله عاليًا إلى السماء وقد استشاط غضبًا، وقال :

— إن الملك سيقتلني !

وعقدت النسوة اجتماعًا من أجل الخروج بحلّ مناسب للمعضلة، وهنّ في غمرة من الانزعاج والشعور بالذنب لضياع حبّة الذرة الثمينة. وفجأة، نطقت أكبرهنّ سنًّا باقتراح قائلةً :

— اسمع يا أنانسي، لا يمكننا إرجاع حبة الذرة التي ائتمنك الملك عليها، ونحن آسفات على ذلك. ولكن يمكنك أن تختار بدلًا عنها دجاجةً من دجاجات خمّنا.

فأبدى أنانسي موافقته بسرعة، وأمسك بأجمل ديك في الخمّ، ووضعه في مقدّمة الزورق، ثم استأنف طريقه عبر نهر الماروني وهو يدندن :

« لقد حصلت على حبّة ذُرة

واستبدلتها بديك ».

وفي مساء ذلك اليوم بالذات، مرّ على مقربة من قرية « لوكا »، فناداه سكانها من الضفة قائلين :

— أنانسي توقف ! وأقبل إلينا !

أجابهم :

— مستحيل أيّها الأصدقاء، فلديّ مُهمّة أقضيها للملك !

أصرّ القرويون على دعوته وقالوا :

— من الخطر أن تُغامر في النهر وحيدًا خلال الليل الحالك. تعال إذن لتأخذ قسطًا من الراحة حتّى نهار الغد.

وهكذا، لبّى أنانسي دعوتهم، بعد أن أنهكه التعب جرّاء إبحاره طوال اليوم. ودنا من جرف النهر، فشدّ الرجال زورقه إلى اليابسة، بينما اشتغلت النساء في تحضير طبق من اللّحم وخُضار الدّاشين[1]. كمّا جُهّز من أجله كوخ ليقضي ليلته فيه.

وكما فعل بالأمس، رسم أنانسي على وجهه نفس ملامح العبوس. فسألته امرأة عجوز :

— هل تعاني من خطب ما ؟

1. داشين : خضار شبيهة بالبطاطا ذات لون بنفسجي.

أجابها :

— لديّ في زورقي هذا الدّيك الثّمين الذي عَهِد به الملك أمانةً لديّ، ولا أريد أن يُسرق مني أثناء نومي ولو بذلت من أجل ذلك كلّ ما أملك ! هل هناك مخبأ يمكنني وضعه فيه خلال الليل ؟

ارتسمت ابتسامة على محيّا المرأة، وقالت :

— هذا كل ما في الأمر ؟ هاته ! وغدًا عند استيقاظك، أُرجِعُك إيّاه.

أمسكت المرأة العجوز بالديك ودسّته داخل جحر الصراصير، ثم قالت في ثبات :

— هكذا سيكون في مأمن.

ثمّ خلدت القرية للنوم.

عندما انتصف الليل، نهض أنانسي في كتمان، وتأكد من أن القرية بأسرها نائمة ثم ذهب حيث يوجد الديك، فذبحه وطهاه ثم التهمه. وعاد ممتلئ البطن ليستأنف نومه.

وفي صباح اليوم الموالي، خرج أنانسي من كوخه، مطّ عضلات جسمه وقال :

— يتعيّن عليّ أن أغادر الآن، فلديّ مُهمّة أقضيها من أجل الملك.

وبحث داخل جحر الصراصير، غير أنّه، بطبيعة الحال، لم يعثر للدّيك على أدنى أثر ! فتضرّج وجهه باللّون القرمزي، وتظاهر بالسخط الشديد، وقال :

— إن لم آخذ الدّيك للملك فسيقتلني !

شعرت النّسوة بالرأفة لحاله، وقلن له :

— اسمع يا أنانسي، ليس في استطاعتنا أن نردّ لك الديك الذي أمّنك الملك عليه، وإننا آسفات لذلك أشدّ الأسف. ولكن يمكنك أن تحمل بدلًا عنه أيّ حيوان من اختيارك !

وهكذا، استحوذ أنانسي على أسمن خنزير في القرية. وأوثق قوائمه ثم وضعه في مُقدمة زورقه. وواصل مسيره وهو يدندن :

« لقد حصلت على حبة ذُرة،

واستبدلتها بديك.

لقد حصلت على ديك،

واستبدلته بخنزير ».

وفي مساء ذلك اليوم، مرّ بمحاذاة قرية « بابايشتون »، فناداه سكانها من الضّفّة قائلين :

— أنانسي توقف ! وأقبِل إلينا !

فأجابهم :

— مستحيل أيها الأصدقاء، إنني في مُهمّة أقضيها للملك !

ألحّ القرويون عليه الطلب، فلبّى دعوتهم وتوقف. ثم سألهم إن كان ثمّة مكان يخبّئ فيه خنزيره. فأخفته امرأة عن الأنظار داخل بيت الصراصير.

وحينما انتصف الليل، قتل أنانسي الخنزير، ثم طهاه وأكله. وعاد إلى نومه مُتخم البطن. ولم يُعثر على الحيوان في اليوم التالي، فصاح أنانسي غاضبًا :

— إذا لم آخذ هذا الخنزير إلى الملك فسيقتلني.

قالت إحدى الجدّات :

— خذ في مكانه أيّ حيوان تختاره !

انتقى أنانسي أجمل بقرة كانت ترعى على مقربة من القرية. فربط قوائمها ووضعها في مقدمة الزورق، ثم اتّخذ سبيله بهدوء عبر أمواج نهر الماروني مترنّمًا :

« لقد حصلت على حبة ذُرة،

واستبدلتها بديك.

لقد حصلت على ديك،

واستبدلته بخنزير.

لقد حصلت على خنزير،

واستبدلته ببقرة ».

وفي ذاك المساء، توقف أنانسي في قرية « أباتو ». واستفسر عن مكانٍ يمكنه أن يأوي فيه بقرته بأمان.

ولَكُم أن تتخيّلوا بقية الحكاية...

فعند منتصف الليل، أخرج أنانسي البقرة من البيت المليء بالصراصير وذبحها ثم طهاها وأكلها، وعاد إلى مضجعه ببطنٍ على وشك الانفجار من فرط الأكل.

ولمّا استيقظ في الصباح، كانت بقرته قد اختفت. ومن شدّة غيظه، كاد أن يدمّر كل شيء في القرية ؛ فأبدله القرويّون طفلًا إرضاءً له في مقابل بقرته الضائعة.

وأبحر أنانسي لساعات طوال عبر نهر الماروني، بعد أن أجلس الطفل في مقدمة الزورق. وراح يغنّي :

« لقد حصلت على حبة ذُرة،

واستبدلتها بديك.

لقد حصلت على ديك،

واستبدلته بخنزير.

لقد حصلت على خنزير،

واستبدلته ببقرة.

لقد حصلت على بقرة،

واستبدلتها بطفل ».

وفي أمسية ذلك اليوم، صادف أنانسي على مشارف مدينة سان لورون دو ماروني سفينةً رائعة ذات أشرعة بيضاء ضخمة. لم يبصر أنانسي في حياته كلها أجمل من هذا المركب ! فقام بمُناورة جعلت مُقدمة زورقه ترتطم ببدن السفينة، فسقط الطفل في الماء من شدة الصدمة.

وسرعان ما سادت حالة تأهّب قصوى على متن السفينة، وألقى رجل من طاقمها طوق نجاة، ولكن جسد الطفل كان قد اختفى عن الأنظار. وفي الواقع، كان الطفل متواريًا تحت بدن الزورق امتثالًا لأوامر أنانسي.

وتوجّه أنانسي مستشيطًا بالغضب الشديد إلى ربّان السفينة قائلًا :

— ما الذي فعلتَه ؟! بسببك غرق الطفل الذي أمّنني الملك على المحافظة عليه. ولا شكّ في أنه سيقتلني حينما يعلم بالأمر.

واقترح عليه الرّبّان وهو في غاية الخجل :

— سأمنحك الكثير من المال...

فردّ عليه أنانسي وقد صار وجهه أشدّ حُمرة من لون قرد « البابون ».

— لا أريد شيئًا من مالك، ولكنني أريد سفينتك !

وفي اليوم الموالي، كان أنانسي، السّيّد العنكبوت، يشقّ عباب نهر الماروني وهو ممسكٌ بدفّة هذه السفينة البديعة ومدندنًا :

« لقد حصلت على حبة ذُرة،

واستبدلتها بديك.

لقد حصلت على ديك،

واستبدلته بخنزير.

لقد حصلت على خنزير،

واستبدلته ببقرة.

لقد حصلت على بقرة،

واستبدلتها بطفل.

لقد حصلت على طفل،

واستبدلته بسفينة.

ولهذا، يُردّد الناس بأنني ذكي ».

وهكذا، أهدى أنانسي للملك أجمل سفينة، فأعطاه في مقابلها ابنته كزوجة له تنفيذًا للوعد الذي قطعه.

قرد المكاك وتمساح الكايمان

(من حكايا الزنوج المارون)



هذه رواية من الروايات المتعددة لحكايةٍ لم تزل نابضةً بالحياة على ضفاف نهر الماروني حيث يتناقلها أفراد قبائل الزنوج المارون.

ها هي أيام عديدة قد مرّت على خروج قرد الماكاك إلى الغابة طلبًا لأيِّ طعامٍ يسدّ به رمقه، ولكن وا حسرتاه، لقد كانت أسراب الطيّور وجحافل قردة الغابة الكبيرة قد اكتسحت كلّ الأشجار، ولم تَبْقَ فيها ثمرة واحدة يتسلّى بقرمشتها. وأخذت معدته الغاضبة تزقزق مُطالبة بأيّ شيء من شأنه أن يسكّن جوعها.

« زق زق زق ! »

وذهب الماكاك ليشرب على مقربة من الخليج، تجرّع شربة ثم ثانية. ومع أنه أخمد عطشه إلا أنه لا يزال يتضوّر جوعًا !

« زق ق ق ق ! ».

وما إن رفع رأسه حتى لمح شجرة تكاد تنوء بما تحمله من ثمار ناضجة. ولكن، للأسف، كانت هذه الشجرة نامية على الضّفّة الأخرى من النّهر، وناهيك عن عدم إجادة الماكاك للسباحة، فقد كان يخاف من الماء خوفًا شديدًا.

كان الوقت شتاءً، ومياه النهر ما انفكت ترتفع، ففكّر الماكاك في الطريقة التي تمكّنه من عبور أمواجه الصاخبة. هل يتسلق نباتات الليانا المتعرّشة ؟ لا، فمنذ أن اضطرته الظروف إلى الصوم خارت قواه، وقد يسقط في الماء ويغرق.

بسط الماكاك ذراعيه واتّكأ على إحدى الصخور. لم يستطع إزاحة ناظريه عن تلك الثمار الحمراء المذهلة التي ترمقه بازدراء من الضفة الأخرى، ورائحتها العسلية تدغدغ أنفه. وفجأة نفذ إلى سمعه صوت ضوضاء :

« فلووووووووووووك ! »

لقد كان تمساح الكايمان من قفز في المياه بعد أن ضايقه الذباب. ونسي الماكاك، وقد عذّبه بطنه، نهم عدوّه التمساح، وطلب منه :

— يا صديقي الكايمان، هل تساعدني في عبور هذا الخليج ؟

سأل الكايمان :

— وكيف أفعل ذلك ؟

— تحملني على متن ظهرك، فأنا، كما تعلم، لا أجيد السباحة !

وعندها، فتح الكايمان فكّيه في منظر تقشعرّ له الأبدان، واستغرق في التفكير. لقد كان يعلم ما يتميّز به المكاك من مكر ودهاء، فخشي أن تكون هذه حيلة من حيله.

ولكي يُقنع التمساح، أضاف القرد :

— أنا بدوري، سأسدي لك خدمة نظير تلبيتك لطلبي !

فأجاب الكايمان :

— أنا موافق إذن. فنحن، سكّان الغابة، يجب في بعض الأحيان أن نتناسى الاختلافات فيما بيننا ونساعد بعضنا بعضًا، أليس كذلك ؟

— بالطبع.

هكذا ردّ الماكاك دون تردّد وقد صوّب نظره على عنقود من الثّمار الحمراء التي سيملأ بها جوفه عمّا قريب.

تنحنح الكايمان وأردف قائلًا :

— إذا ما طلبت إليك يومًا أن تسدي لي خدمةً في مقابل هذه، لن يكون في وسعك حينذاك أن ترفض، أهذا ما تقصده ؟

قال الماكاك مُستعجلًا إشفاء جوعه بالفواكه الحمراء اللذيذة :

— بالضّبط !

استجمع الماكاك قواه للقفز على ظهر الكايمان، وتشبّث بالحراشف الخشنة التي تكسو الحيوان الزاحف المذهل. وبدأ يُحسّ بالفعل عُصارة الفواكه الحمراء المُدهشة تسري في حنكه.

طفق الكايمان يهزّ بقوائمه ذات الشكل الكفّي، ويضرب الماء بذيله العريض. وهكذا سار بسرعة إلى عرض الخليج. وعلى حين غرّة، انعطف ليرتقي فوق التيارات المائية. وراح الزّبد يفور ويتصاعد من حوله بشكل خطير. فاستفسر منه الماكاك المذعور عمّا يدور في خاطره.

توقف الكايمان على إحدى الصخور وقال :

— إنه دوري لأطلب منك خدمة يا صديقي.

وارتعشت يدا الماكاك ؛ إنّه محاصر في عرض الخليج بصحبة أكثر حيوانات الغابة شرهًا. فما الخدمة التي يريدها منه يا تُرى ؟

استأنف التمساح كلامه :

— يا عزيزي الماكاك، إنّ زوجتي تعاني من مرض خطير، وتصوّر أن الطبيب في حاجة إلى قلب قرد كي يصنع الدواء الكفيل بعلاجها.

ابتلع الماكاك ريقه، وحدّث نفسه : كيف السبيل للنفاذ بجلده ؟ لقد نسي جوعه والثمار الحمراء التي كانت على مقربة من متناول يده.

وكما يعلم الجميع، فالكايمان ليس من الحيوانات التي تتّقد ذكاءً ؛ ولذلك، أخذ الماكاك يفكّر في الحيلة التي تُمكّنه من تجاوز ورطته. وبالفعل، خطرت على ذهنه فكرة، فقال للتمساح :

— من الطبيعي جدًّا أن أخدمك في هذا الشأن. وإنني لا أرى لمشكلتك العويصة إلّا حلًّا واحدًا : هل تقبل بأن أُهديك قلبي أنا بالذات ؟

قال الكايمان في تعجّب غير مُصدّق لما تسمعه أذناه :

— أقبل بكل سرور !

— إذن، ساعدني على عبور هذا الخليج، ولنذهب سويًّا لإحضاره.

اندهش التمساح وقال :

— ماذا ؟ ألا يوجد قلبك في داخل صدرك ؟

فانفجر الماكاك ضاحكًا، وأضاف :

— بالطّبع لا ! ألا تعلم بأنّ القرَدة تغسل قلبها كلّ صباح بمياه النهر ثم تضعه ينشف على الشجرة الضخمة التي تراها هناك ؟

وأشار بيده إلى الشجرة الملأى بالثمار الحمراء.

أومأ الكايمان برأسه وقال معترفًا :

— كنت أجهل ذلك، امتطِ ظهري، سأُقِلُّك إلى غاية الشّجرة، وعندما ترتقي فوقها ألقي إليّ بقلبك، وهكذا نكون مُتعادلين.

— اتّفقنا !

وثب الماكاك على ظهر الكايمان، وطفق هذا الأخير يهزّ بقوائمه ذات الشكل الكفّي، ويضرب الماء بذيله العريض، وهكذا سبح بسرعة إلى الطّرَف الآخر من الخليج.

وما إن بلغا الضّفّة حتّى تسلّق القرد الشجرة، ثم انتقى ثمرة في كامل نضوجها وابتلعها، ثم التهم واحدة ثانية، ثم ثالثة.

وبعد مرور خمس دقائق، نفد صبر الكايمان، وصاح :

— أين قلبك أيها الماكاك ؟ أسرع، فزوجتي المسكينة تنتظر !

فألقى الماكاك على رأس التمساح ثمرة متعفّنة وهو يضحك، ثم قال :

— يا لك من غبيّ يا صديقي ! تدبّر أمرك بهذه !

وهكذا تمكّن الماكاك المتضوّر جوعًا من ملء بطنه، فيما لا يزال الكايمان ينتظر للحصول على قلبه.

ولادة خنازير البيكاري

(من أساطير شعب الغاليبي)



تُقدّم لنا هذه الأسطورة تفسيرًا عن أصل خنازير البيكاري، وهي تُروى لدى شعوب الغاليبي، السّكّان الأصليّون لمناطق السّاحل الغواياني.

ذات مساء، استدعى عجوز هندي صهره المسمّى « أولوواليبو » للقدوم إلى كوخه. وعندما حلّ هذا الأخير عند نسيبه، اعتدل العجوز على سريره، وشرح له السبب وراء استدعائه قائلًا :

— في خضمّ حياتي الطويلة، سنحت لي الفرصة في تذوّق لحم كل حيوانات الغابة مثل حيوان الأرماديلو

المدرّع، وحيوان الكسلان، والقردة. أعرف اللحم الأبيض لتمساح الكايمان، واللحم الأحمر لحيوان التابير[1]، والقشرة المشبعة بالدهون لحيوان الباكا[2].

أومأ أولوواليبو برأسه، وتساءل في نفسه : ما منشود العجوز من كلامه هذا ؟

وأردف العجوز قائلًا :

— اليوم، أريد أن أتذوّق لحم حيوان جديد.

قال أولوواليبو في تعجّب :

— حيوان جديد ؟!

— أجل، لحم حيوان غير معروف.

تراجع أولوواليبو خطوة للوراء وقال :

— هذا... هذا مستحيل !

ثنى النسيب ركبتيه الهزيلتين وأضاف :

— لقد كبرتُ في السن. أما أنت، فلا تزال شابًّا، كما أنك صيّادٌ شجاع. أريدك أن تذهب مع حلول الفجر إلى الغابة وتجلب لي هذا الحيوان.

---

1. تابير : حيوان شبيه بالخنزير.

2. باكا : حيوان ضخم من القوارض.

قال أولوواليبو متعجّبًا رافعًا يديه إلى السماء :

– لَكأنّك تطلب منّي الخروج لصيد الأشباح !

بيد أن رغبة نسيبه كانت عظيمة، ما جعله يرضخ لها.

في ذلك المساء، اختار أولوواليبو قوسًا من أقواسه، وأفضل سهامه. ثم دهن جسمه بصباغ نبتة الأشيوت، وهيّأ نفسه للصيد. وقضى الليل بطوله ساهراً، يتأمل في السماء والقمر والنجوم، وقال في نفسه : ما نوع هذا الحيوان المجهول الذي سيجلبه للقرية ؟ ربما لم يسبق لهذا النسيب أن تذوّق لحم طائر اليغاث الأسود، أو السنجاب أو الدلق أو الثعبان ؟

عند حلول الفجر، غادر أولوواليبو القرية النائمة وغاص في الغابات الرحبة. سار طويلًا، وما إن سمع جلبة تنبعث من بين أوراق الشجر حتى شدّ حبل قوسه، غير أنّه لم يُصادف إلّا أنواعًا شائعة من حيوانات معروفة لدى كل الصيادين مثل طائر الهوكو[1]، وقوارض الأغوطي[2]، وطائر الماراي[3]، وكثير من الأجناس الأخرى.

---

1. الهوكو : نوع من الديكة الرومية البرية.

2. الأغوطي : قارض أرضي من حجم الأرنب.

3. الماراي : نوع من الديوك البرية.

وبعد أن مشى طويلًا وأشرفت الشمس فوق الغابات الشاسعة على الأفول، كان أولوواليبو سيعود بخفَّيْ حُنَيْن، لولا أن مرّ ثعبان ضخم على المسرب أمامه.

شدّ الصياد حبل قوسه، وسدّد رميته ثم أطلق سهمه، وجعل الثعبان يتلوى حول نصل السهم الذي اخترق رأسه.

عند عودته إلى القرية، أقبل أولوواليبو على نسيبه، ووضع كيسه على الأرض الصلصالية أمامه. ألقى الرجل العجوز نظرة داخل الكيس وهز رأسه قائلًا :

— لقد أكلتُ من لحم هذا الثعبان مائة مرة، عد إلى الغابة واجلب لي حيوانًا غير معروف.

وحينها تساءل أولوواليبو ما إذا كان التقدم في السن قد أفقد هذا النسيب عقله. ثم أمسك بقوسه، ووضع كيسه على ظهره وخرج من الكوخ. ورغم قيظ الظهيرة، غاص في أعماق الغابة وهو يغمغم.

بعد أن انخفضت الشمس وأوشكت على ملامسة قمم الأشجار، تلاشت كل آمال أولوواليبو، فلم يمرّ على مرمى سهامه أيّ حيوان مجهول.

وخيّم الليل، فقرر أولوواليبو أن يخلد إلى الراحة، وشيّد مأوى له باستخدام فروع وأوراق نبات القنا والنخيل، ثم تمدّد ونام.

وعند الفجر، استيقظ على صخب القردة النابحة. كان الضباب يلفّ المكان، فعمّ نسيم عليل. إنه أنسب وقت للصيد. وهكذا، تسلح أولوواليبو بقوسه واتجه صوب المستنقعات لعلّه يجد فيها حيوانًا غير معروف. وبينما كان يتقدّم في مسيره، كان يدعو أشباح الغابة أن تمدّ له يد العون.

قطع أولوواليبو عديد الخلجان وتسلّق الصخور، وشقّ طريقه مستعينًا بسيفه داخل الغطاء النباتي الكثيف في المستنقعات.

وفي تلك الأمسية، جلس أولوواليبو منهك الكاهل مثبّط العزيمة تحت ظل شجرة من أشجار القابوق. كان الصمت مطبقًا على الغابة، صمت ثقيل ؛ فتسرّب القلق إلى نفسه جرّاء هذا الخرس غير الاعتيادي للضفادع والعصافير. وأحكم قبضته على قوسه وأعدّ سهمًا.

وفجأة، لاح رجل أمامه. كان هندياً ضخم الجثة يرتدي ثوباً من نوع الكاليمبي ذو لون أحمر فاقع. وعلى ذراعه رُبطت شرائط مُختلفة الألوان تدلّ على انتمائه إلى مصاف الصيّادين الكبار. وعلى عنقه طوقٌ تتدلّى عليه صافرة مصنوعة من عظم قرد « الكواتا ».

وحينذاك، وضع أولوواليبو سلاحه مطمئنّ البال، ثم قال ملاحِظًا :

— أنا لا أعرفك !

وأجابه الرجل :

— هذا أمر طبيعي، فأنا أعيش مختبئًا في الغابة. ولكن أخبرني ما الذي جئت تبحث عنه هنا، لربما استطعت مساعدتك.

هز أولوواليبو رأسه وأجاب :

— سيكون من المدهش لو استطعت ذلك ! فحتى أكفأ الصيادين لم يجدوا ما أبحث عنه.

— ومن يدري ؟

لم يكن أولوواليبو ليخسر شيئًا إن أخبره، فضلًا عن أنه يحبّ الكلام، ولم يتردّد في رواية حكايته على الرجل. وعلى كل حال، لا شك في أن هذا الهندي يعرف الغابة أفضل منه، ذلك أن مسكنه هناك. وحالما فرغ من حكايته، قال له الرجل :

— انتظرني هنا، سأساعدك على تلبية رغبة نسيبك.

ثم اختفى أسرع ممّا ظهر. وإثرها، تناهت إلى سمع أولوواليبو أصوات صفير عدّة مرّات. فانتابته مشاعر غريبة وقال في نفسه : أيُعقل أن يكون هذا الرجل شبحًا من أشباح الغابة ؟

كان أولوواليبو يعلم بأنّ أشباح الغابة أو ما يسمون بالـ « يولوك » يستطيعون التحوّل بسهولة فيتقمّصون صورة شجرة أو حيوان، أو حتى إنسان.

وبالكاد أنهت الأفكار تجوالها في ذهن أولوواليبو، حتى كان الرجل المجهول يقف أمامه مجدّدًا، وقد جاء هذه المرّة حاملًا على ظهره كيسًا كبيرًا. استقام أولوواليبو واقفًا، وبادره الرّجُل قائلًا :

— هذا ما تبحث عنه ! إنه لحم خنزير البيكاري، وهو حيوان غير معروف لدى الهنود !

وأجاب أولوواليبو مندهشًا :

— إن اللسان ليعجز عن شكرك !

ثم مدّ يده لاستلام الكيس، ولكن الصياد تراجع خطوة، وقال :

— لا تلمس هذا الكيس أبدًا، ولا حتّى الطريدة التي بداخله ! ولو خالفت هذا الأمر، فستحلّ بك المصائب.

وأضاف الصياد الغريب :

— نسيبك هو الوحيد الذي يمكنه أن يلمس هذا الحيوان أو يأكل من لحمه. لا أنت ولا زوجتك ولا أي أحد من أهل بلدتك الآخرين ؛ ولهذا، يجب أن أرافقك إلى غاية القرية، وهناك، أضع الكيس أمام كوخ نسيبك، وعندها، ستمضي إليه وتقول له : « لقد وجدت الحيوان الذي لم يسبق لك أن تذوّقت لحمه ! » ثم ترجع إلى بيتك في هدوء.

سار الهندي بصحبة أولوواليبو إلى أن بلغا القرية في أكثر ساعات اليوم قيظًا. كان الجميع يستريحون تحت الظل العليل لسقوف أكواخهم المبنية بسعف النخيل.

وكما جرى الاتفاق عليه، وضع الصيّاد الكيس عند مدخل الكوخ. ثم حدّق في عيني أولوواليبو مباشرة ، وقال :

— لا تُفصح لأيّ شخصٍ كان عمّا دار بيننا من لقاء ! وعند منتصف الليل سأعود لاسترجاع كيسي.

ثم اختفى الرجل. فبدأ أولوواليبو يرتجف، ودخل بيت نسيبه فألفاه غافيًا على سريره المتأرجح. وقال له :

— لقد وجدت الحيوان الذي لم تذق طعم لحمه قَطّ !

فتح الرجل العجوز عينًا واحدة، ثم قام وتوجّه على عجل صوب باب الكوخ. فكّ رباط الكيس وعاين اللحم، وسرعان ما انشرحت أسارير وجهه كاشفةً عن ابتسامة مشرقة. ثم قال :

— إنه فعلًا الحيوان الذي لم يسبق وأن أكلتُ مثله في حياتي.

وجعل يشدّ على يدَيْ أولوواليبو وقد اجتاحته فرحةٌ غامرة. وأردف قائلًا :

— أشكرك يا صهري، إنّك حقًّا صيّاد شجاع.

عاد أولوواليبو إلى مسكنه ورأسه مثقل بأسئلة عديدة. كانت زوجته على فراشها تنسج ثوبًا من قطن. ألقت عليه التحية، ثم حدّثته عن مجريات يومها، وقالت :

— عشاؤنا هذا المساء عند والدي ؟

انتفض أولوواليبو قائلًا :

— هذا مستحيل !

— ولكن لماذا ؟

— لقد قطعت وعدًا لشخص ساعدني في الصيد. وعدته بأن يتناول والدك طعامه هذا المساء بمفرده.

هزّت المرأة كتفيها، وقالت :

— كلامك هذا مثير للسخرية، ولستَ أنت من يمنعني من العشاء في بيت والدي. ابقَ وحيدًا إن كنت ترغب في ذلك !

رغم الإلحاح الشديد من أولوواليبو، رفضت زوجته الانصياع لإرادته. وتناولت في تلك الأمسية طعام العشاء مع والدها برفقة طائفة من الأصدقاء.

وفي الليل، استيقظ أولوواليبو على صوت صفير، فنهض وأدرك أن الصوت ينبعث من أطراف الغابة ؛ فذهب به الظن مباشرة إلى الهندي الذي جلب له الحيوان المجهول، ومن المؤكد أنه جاء لاستعادة كيسه.

ولكن جلبة أخرى نفذت إلى أذنيه. لقد كانت جلبة غريبة، أصوات همهمات ودمدمات لم يسبق له أن سمع مثلها. وقال في ذاته :

— من هو الحيوان الذي يصدر هذا الصوت العجيب ؟

وبغتة، شرع كوخه في الاهتزاز، فقفز أولوواليبو بكلتا قدميه على أرضيته. وألقى بنظرة أسفل الكوخ. فلمح في العتمة خيالاتٍ لحيوانات ذات أربعة قوائم تنبّش الأرض تحت المنزلِ الخشبي. وكان بعضها ينهال على أوتاد البيت ضربًا عنيفًا بخطومها.

وحينما زال الخطر، خرج أولوواليبو من كوخه، فاكتشف أن البيوت الأخرى قد دُمّرت وقُلبت رأسًا على عقب، و كانت التربة والرمال محروثةً كما لو أن إعصارًا مرّ من هنا. أمّا سكّان القرية فقد اختفوا عن بكرة أبيهم.

وجعل أولوواليبو يجوب القرية مؤرجحًا ذراعيه، وهو يتساءل عن السبب وراء هذه المصيبة التي ألمّت ببلدته في هذه الليلة. وتذكّر كلمات الصيّاد في الغابة حينما قال : « لا أحد في إمكانه أكل هذا اللحم إلا نسيبك، لا أنت ولا زوجتك ولا أحد من سكّان القرية في وسعه لمسه أو تناوله ». لقد انتهكت زوجته هذا الأمر، وهاهو الصياد الذي لم يكن إلا واحدًا من أشباح الغابة « اليولوك » قد أتى ليأخذ بثأره.

وعند مدخل كوخ نسيبه، صادف أولوواليبو نوعًا من أنواع الخنازير لم يسبق له أن رأى مثله، وهو ينبش في التراب بطرف خطمه. فدنا منه دون إحداث جلبة. ويا للعجب، لقد كان سوار زوجته القطني ملفوفًا بقدم الخنزير. فأمسك به وأوثق رباطه. ثم غلّى ماءً في قِدر كبير يُستخدم لتحضير مشروب الكاشيري[1]، وألقى بالحيوان داخله كي يسهل عليه سلخ لحمه عن جلده قبل شَيّه.

وما إن انسلخ كامل الجلد حتى قفز الحيوان خارج القدر. وعلى الفور عرف أولوواليبو بأنها زوجته ! لقد تحوّلت إلى حيوان نتيجة لعصيانها أمره ! وبقفزة واحدة، ابتعدت المرأة عن الموقد وفَرّت إلى الغابة وهي تصيح. ومن هول الصدمة دفن أولوواليبو رأسه بين يديه. لقد صارت زوجته وكل أهل القرية خنازير بيكاري !

وبعد بعض الوقت، انصرف أولوواليبو لتمتين وتثبيت أساسات كوخه، واستمر في ذلك طيلة اليوم.

وعند حلول المساء، عادت الحيوانات برفقة الشبح صاحب الصفّارة، وحاولوا ثانيةً تدمير كوخ أولوواليبو، وعبثًا رماهم بأفضل سهامه دون أن يبدوَ عليهم أيّ تأثّر. وفي نهاية

1. كاشيري : جعة مصنّعة من عُصارة نبات الكاسافا المخمّرة.

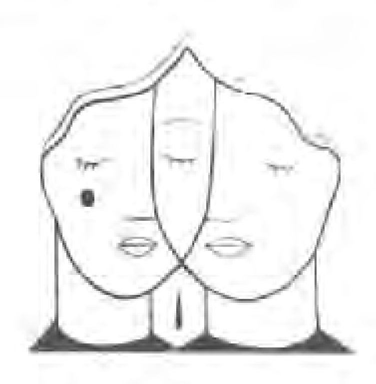
المطاف، غادرت الحيوانات القرية مع انبلاج الفجر واستقر بها المُقام نهائيًّا في الغابة.

وهكذا، كانت ولادة خنازير البيكاري في بلاد الهنود الأمريكيين.

وفي يومنا هذا، تعيش هذه الخنازير البرية ضمن قطعان في الغابة، وهي منهمكة على الدوام في نبش الأرض بخطومها. ورغم أن الهنود يعمدون إلى اصطيادها، إلّا أنّهم أيضًا يخافونها بسبب أسنانها الحادّة التي تُحدث جروحًا قاتلة.

« ليسا » وُلدت من رغوة

(من حكايا الزنوج المارون)



هذه الحكاية مُتناقلة بين أفراد شعب الزنوج المارون. ومثل الكثير من القصص الأخرى، توجد لهذه القصّة عدّة روايات شائعة بين سكّان ضفاف نهري الماروني والتاباناهوني.

« ديلينتين...

دايتين ! »

كانت أسرة « كوبا » تعيش في كوخ صغير على ضفّة نهر الماروني، وكانت « كوبا » وحيدة والديها، ما سبّب انزعاجها

في بعض الأحيان. كانت تُحبّذ لو أن لها أخًا أو أختًا صغيرين مثل أطفال القرية الآخرين. وحتى لا تُحسّ بالملل، كانت ترافق أبويها أينما ذهبا، إلى حافّة النهر أو الغابة أو الحقل.

ذات يوم، قصدت « كوبا » النهر بصحبة أمّها لغسل أوانيهم، فيما كان أبوها جالسًا على الجسر العائم وقد ألقى صنّارته لصيد بعض السمك لتناوله على العشاء.

مرّرت « كوبا » مترنّمةً قطعة صابون كبيرة على الأطباق لتلميعها. وانضمّت إليها والدتها في الغناء وهي تفرك بقوّة القِدر الكبير الذي طهت فيه الأرُز وأوراق الماكوكو وهو نوع من السبانخ البريّة.

وبينما كانت « كوبا » تفرك في الأواني، لاحظت طبقة صغيرة من الرغوة البرّاقة تتشكّل حول رُكبتي أمّها، وانبعثت منها ومضات خضراء وزرقاء فبدت كقوس قزح. أُعجبت « كوبا » بجمال هذه الرغوة إعجابًا كبيرًا وسألت أمها إن كان في إمكانها أخذها معها إلى البيت. فأجابت الأم :

— بالطبع يا بُنيّتي ! لملميها وصُبّيها في دلو أبيك.

وسرعان ما فعلت « كوبا » ذلك، إذ التقطت طبقة الرغوة بحذر شديد وسكبتها في دلو والدها، ثم ذهبت إلى القرية لتحفظها في مكان آمن.

وضعت « كوبا » دلو والدها على مقربة من سريرها. حدّقت في الرغوة بإعجاب مرّة أخرى ثم عادت إلى الشاطئ لتُتمّ غسل الأطباق.

لمّا آبت « كوبا » إلى القرية، تناهت إلى سمعها صرخة صغيرة. لقد أتى الصوت من غرفتها. فتخلّصت على عجل من طست الأواني وسارعت إلى داخل البيت، ووجدت طفلة صغيرة من سنّها تغطّي الرغوة جسدها جالسةً على سريرها. لم تفهم « كوبا » شيئًا ممّا يحدث وطفق قلبها يدقّ بقوّة. وعندما استعادت هدوءها، سألت هذه الطفلة المجهولة :

— من أنت ؟

أجابت الطفلة بنبرة بدت مألوفةً لدى « كوبا »، وقالت :

— أنا أختك !

حينما استفاق أهل المسكن من هول المفاجأة، دار التساؤل حول الاسم الذي ستحمله طفلتهم الثانية. قال الأب :

— كيف نسمّيها ؟

قامت الطفلة، ومسحت الرغوة السائلة على بشرتها السوداء، وقالت :

— فقط، لا تُطلقوا عليّ اسم « رغوة »، وإلاّ سأعود من حيث أتيت.

أجاب الأب بنبرة تعجّب :

— موافق.

ثم سألت الأم :

— إذن، ما اسمك ؟

— اسمي « ليسا » !

أخيرًا صارت لـ « كوبا » أخت. ومع « ليسا » لن تشعر بالملل أبدًا. فتقاسمت الاثنتان نفس الألعاب والأشغال المنزلية ونفس الأسرار، وكبرتا سويًّا.

ذات صباح، حضّرت أمّهما حساءً كثيفًا من الباميا والفستق، فانتشرت في البيت رائحة زكيّة. وحالما جهز الحساء، طلبت الأم من « كوبا » و « ليسا » تحضير الأرُز قائلةً :

— هيا يا بنات ! عجّلا ولا تتباطآ !

جلبت « ليسا » كيس أرُز من المخزن، وافترشت الأختان الأرض الصلصالية في ساحة البيت وراحتا تغنيان وتتبادلان الحكايات بينما تشتغلان. كانت « ليسا » تدقّ الأرُز و « كوبا » تفصل الحَبّ عن غلافه باستخدام غربال كبير.

واقتربت دجاجة من البنتين باحتشام، وكلما سقطت حبّة أرز من الهاون، تسارع الدجاجة لالتهامها.

وبعد حين، ضاقت « كوبا » بالدجاجة ذرعًا وخاطبت أختها بنبرة جافّة قائلةً :

— ليسا، اطردي هذه الدجاجة. ألا ترين أنها تأكل أرُزنا ؟!

استاءت « ليسا » من النبرة التي حدّثها بها أختها، وأجابتها :

— أطرديها بنفسك، كوبا.

احتدّت « كوبا » وكانت يومها متوتّرة الأعصاب، وقالت :

— أبعدي هذه الدجاجة، أو يكون لي تصرّف عنيف معك !

هزّت « ليسا » كتفيها بلامبالاة، واستمرت في هرس الأرز مترنّمةً. وحينها ثارت ثورة « كوبا » وصاحت :

— يا أيتها الرغوة ! أبعدي هذه الدجاجة من هنا.

سقط المدقّ من يد « ليسا » فانغرس في الأرض. ورفعت رأسها فبدا على وجهها الأسى الشديد، ما جعل « كوبا » تندم سريعًا على قولها. ولكن ماذا ينفع الندم ؟! وشهقت « ليسا » قائلةً :

— لقد ناديتني « رغوة ».

وضعت « كوبا » غربالها جانبًا، وأمسكت بيد أختها، وقالت :

— لم أكن أقصد...

وحينها راحت « ليسا » تغني والدمع يغشي مقلتيها :

— أمي تناديني « ليسا » ! أبي يناديني « ليسا » ! أمّا « كوبا » فتناديني « رغوة » !

دفعت « ليسا » أختها بعنف مُفلتةً يدها، وكالطيف، اتجهت صوب النهر وهي تُردّد في حزن :

— أمي تناديني « ليسا » ! أبي يناديني « ليسا » ! أمّا « كوبا » فتناديني « رغوة » !

احتشد أهل القرية على صوت غناء « ليسا » الذي لفت انتباههم، لكنّ هذه الأخيرة كانت قد شقّت طريقها داخل نهر الماروني وهي تدندن :

— أمي تناديني « ليسا » ! أبي يناديني « ليسا » ! أمّا « كوبا » فتناديني « رغوة » !

وهرولت أمّها خلفها محاولةً اللّحاق بها، ولكن « ليسا » استمرت في تقدمها وكأن قوّة غامضة تدفعها. لقد بلغ الماء الآن خاصرة « ليسا »، ولا تزال تغني :

— أمي تناديني « ليسا » ! أبي يناديني « ليسا » ! أمّا « كوبا » فتناديني « رغوة » !

ثم قام الأب والأم بمحاولة أخيرة لإنقاذ « ليسا ». ولكنها غابت إلى الأبد في أعماق النهر بسبب إساءة « كوبا » التي، في غمرةٍ من الحزن العميق، وجدت نفسها وحيدةً دون أنيس.

أنانسي والسّيّد ديدي
(من حكايا الزّنوج المارون)



في لغة « التاكي تاكي » التي يتحدث بها الزنوج المارون، تعني كلمة « ديدي » « الموت ». وقد اشتُقت من ماضي الفعل الإنجليزي « dead ». السيد ديدي إحدى الشخصيات التي تظهر باستمرار في القصص المروية حتى يومنا هذا على ضفاف نهر الماروني. وغالبًا ما تُصوّر حكايات هذه الحضارة الموت بشكل وحشي، لا بل مُقرف.

« ديلينتين...

دايتين ! »

ذات زمان، صبّ السيد ديدي (الموت) كل اهتمامه على حيوانات الغابة. وما عاد يزور القرى أبدًا، وهكذا سلم الناس بحياتهم من الموت.

مرّت على أنانسي عدّة أيام كان يعود من الصيد عند نهايتها خاوي الوفاض. لقد قلّت أعداد الطرائد في الغابات الكبيرة، وبدأ كل صيادي المملكة في إبداء شكواهم من ذلك.

ولكن، يُتداول على ألسنة النّاس أنباءٌ عن السيد ديدي الذي يشوي كل يوم كميات كبيرة من لحم خنازير التابيري والبيكاري، وطيور الهوكو وسناجب الأغوطي.

لا شك في أنه السبب وراء اختفاء الحيوانات من الغابة ! وأراد أنانسي أن يتثبّت من الحقيقة، فقرر تأدية زيارة مجاملة للسيد ديدي هذا، وحدّث نفسه بأنه سيستفيد من كيده الأسطوري كي ينتزع من هذا السيد بعض القطع الصغيرة من اللحم لإطعام عائلته الغفيرة العدد المتكوّنة من زوجة تُدعى « ساوينا » وما لا يقلّ عن اثني عشر طفلًا من ذوي الشهية المفتوحة للأكل.

ذات صباح، عزم أنانسي أخيرًا على القيام بزيارته. حمل كيسًا كبيرًا على ظهره وشقّ سبيله عبر الغابة، وسرعان ما دغدغت أنفَه رائحة اللحم المدخّن، فسال لعابه وحثّ خطاه صوب مصدر الرائحة.

وعند منتصف النهار، أفضى أنانسي إلى فُسحة صغيرة في الغابة بها كوخ كُوِّم بداخله جبل من اللحم المدخّن. فقال في نفسه وهو يقفز من الفرح : « إنّ هذا اللحم كافٍ لإطعام قريةٍ بأسرها عدّة أشهر ».

لقد اكتشف أنانسي لتوّه منجمًا حقيقيًّا من الذهب، إنه كنز ! وعلى بُعد خطوتين، كان السيد ديدي يراقب نارًا متأجّجةً هائلة حيث كان يشوي خمسة خنازير : ثلاثة من نوع البيكاري، واثنان من نوع التابيري.

قال له أنانسي :

— صباح الخير يا سيد ديدي ! أُدعى أنانسي وأقطن في قرية قريبة.

لم يلتفت الرجل إليه، وفكّر أنانسي في أن سمعه ثقيل. فكرّر بصوت أعلى هذه المرة :

— صباح الخير يا سيد ديدي، كيف حالك ؟

ولكن الرجل لم يُعره أدنى اكتراث.

ودون أن يُكثر من الكلام، طلب أنانسي - وقد أثاره شكل اللحم ورائحته - من السيد ديدي قائلًا :

— لدي زوجة واثنا عشر طفلا أتكفّل بإطعامهم. وقد ندرت الطرائد في هذه الأيام. حتى أنا، أتضوّر جوعًا ! فهل تتكرّم بمنحي بعض القطع الصغيرة من اللحم ؟

استمرّ السيد ديدي في تأجيج ناره دون أن يبالي بوجود أنانسي، فقال هذا الأخير في ذاته : « يا لطرافة هذا الشخص. بما أنه لا يردّ فلا شكّ في أنه موافق على أن آخذ بنفسي بعضًا من مؤونته » ؛ وهكذا ملأ كيس ظهره بالقطع الطازجة من لحم التابيري والهوكو والبيكاري والأغوطي.

وقبل أن ينصرف، حيًّا أنانسي السيد ديدي بأدب جمّ قائلًا :

— إلى اللقاء يا سيدي، وطاب يومك !

في ذلك المساء، أقام أنانسي في بيته وليمة فاخرة، وأخيرًا نام هو وساوينا وأبناؤهما الاثنا عشر ملأى البطون.

في الغد، عاد أنانسي لزيارة السيد ديدي، وقال له :

— صباح الخير يا سيد ديدي ! كيف حالك اليوم ؟

بيد أن السيد ديدي التزم الصمت. وكما بالأمس، حمل أنانسي كميات كبيرة من اللحم، كأضلاع التابيري، وأفخاذ البيكاري وطيور الهوكو ولحوم الكايمان والأغوطي.

وفيما كان السيد ديدي منهمكًا في تأجيج موقده في هدوء، خاطبه أنانسي بلباقة قائلًا :

— يمكنني القول بأنك صيّاد عظيم وطبّاخ ماهر ؛ فالبارحة مساءً، استمتعت زوجتي وأولادي بالأكل كثيرًا !

ولكنّ السيد ديدي لم يحفل بقوله.

وعند عودة أنانسي إلى القرية، ألفى زوجته في انتظاره عند عتبة باب الكوخ. كان القلق باديًا على مُحيّاها. وقالت له :

— ألا تعتقد بأن وراء الأكمة ما وراءها ؟

فأجاب أنانسي في استغراب :

— بالطبع لا !

— وماذا لو كان هذا السيد ديدي شبحًا خطيرًا من أشباح الغابة ؟

قال أنانسي مُطَمئِنًا إيّاها :

— لو كان الأمر كذلك، لكان قد أوقعني من زمان في إحدى مكائده الخبيثة !

في غداة ذلك اليوم وفي الأيام التي تلت، دأب أنانسي على العودة إلى الكوخ ليحصل على الأكل المجّانيّ، واستمرّت هذه الصفقة الرابحة عدة شهور ! إلى أن جاء اليوم الذي أحسّ فيه أنانسي أنه أخذ كفايته من هذا السيد ديدي الغريب، وعقد العزم على شكره.

فكّر أنانسي مليًّا بشأن الهديّة التي يمكنها أن تروق لرجل بمثل هذه الأخلاق الدمثة ؛ أيهديه بندقية ؟ من المؤكد أنّه لن ينتفع بها ! أم يهديه ثيابًا ؟ يبدو من أناقته أنه ليس في حاجة إلى ثياب.

وأخيراً، قرّر أن يزوّجه كبرى بناته قائلًا في نفسه : « على كل حال، لن تعرف ابنتي الجوع أبدًا ! ».

ولكي يقيم احتفالًا يليق بهذا الزفاف المتسرّع، حضّر أنانسي مأدبة من اللحم المدخّن وأهدى ابنته خاتمًا ذهبيًّا بديعًا مرصَّعًا بالماس.

وعند الغداة، انطلق أنانسي وهو في أبهى حلّة مصحوبًا بالعروس المستقبلية قاصدًا السيد ديدي، وقال له :

— صباح الخير يا سيد ديدي. كيف حالك اليوم ؟

وبالطبع، لم ينبس السيد ديدي بكلمة. وأردف أنانسي :

— ها هي ابنتي أهبها زوجة لك تعبيرًا عن شكري لجُودك وكرمك.

ثم عبّأ كيس ظهره باللحم المدخن، وقبل أن يثوب إلى بيته، توجّه إلى ابنته بالكلمات التالية :

— حضّري الطّعام لزوجك. اعتني به جيّدًا. وغدًا سأجيء إليك في زيارة خاطفة.

وبالفعل، عاد أنانسي إلى كوخ السيد ديدي في اليوم الموالي ليأخذ نصيبه من اللحم المدخّن، وألقى عليه التحية حين وصل :

— صباح الخير سيد ديدي، كيف حالك اليوم ؟

وبطبيعة الحال، لم يُجب السيد ديدي. فأخذ أنانسي كامل وقته في انتقاء أفضل قطع اللحم من على المشواة، ثم سأله وقد انتابه القلق بعد أن لاحظ غياب ابنته :

— أين هي ابنتي ؟

ولم يُلق السيد ديدي أي اهتمام لسؤاله. فأضاف أنانسي :

— أَتُراها لا تزال في الحقل ؟

وبينما كان يتلفّظ بهذه الكلمات، التقط من بين قطع لحم البيكاري والأغوطي يدًا بشرية مشوية ! ثم أصبعًا تعرّف فيه على الخاتم الذّهبي المرصّع بالماس الذي أهداه لابنته بالأمس.

وأضحى وجه أنانسي أشدّ احمرارًا من الفلفل الحار، وعيناه سوداوان من فرط الغضب. فأمسك بفخذ خنزير تابيري لكي يلطم به السيد ديدي، وقال لاهثًا :

— لقد قتلت ابنتي ! لقد قتلت ابنتي !

ثم طفق ضربًا كالمسعور على رأس المجرم.

— لقد شويت ابنتي مثلما تشوي خنزيرًا بريًا !

هذه المرّة، ولأول مرّة، التفت السيد ديدي. كانت عيناه تقدحان شررًا، وفي فمه جمرٌ متوهج. كان في أوج استيائه ! ثم اعتدل أمام أنانسي وصرخ :

— لقد تركتك وخلال شهور تأخذ ما طاب لك من اللحم المدخّن دون أن أقول شيئًا، أهكذا تشكر « الموت » ؟

لم يسبق لأنانسي أن رأى شخصًا أكثر إرعابًا من هذا ؛ وجعلت فرائصه ترتعد من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.

استلّ السيد ديدي سيفًا وقال :

— يمكنك أن ترتجف يا أنانسي، لأنني الآن سأقتلك !

وحينها لاذ أنانسي بالفرار داخل الغابة مُخلّفًا كيسه المحمّل باللحم. وانطلق السيد ديدي في تعقّبه.

جرى أنانسي طويلًا بأقصى سرعته، والسيد ديدي يلاحقه. وما إن بلغ القرية حتى سارع إلى أقاربه وهو يقول :

— الموت قادم ! الموت قادم ! هيا أسرعوا في تسلق الأشجار !

آوت ساوينا وأبناؤها الأحد عشر إلى أعلى أغصان شجرة من أشجار المانجو، ثم انضمّ أنانسي المنهك إليهم، فيما استقرّ السيد ديدي أسفل الشجرة مُمسكًا سيفه بيده، وقال :

— لستُ في عجلة من أمري، فالموت لديه كامل الوقت ! سينتهي بِكُم الأمر إلى السقوط من التعب...

لقد كان السيد ديدي على صواب ؛ فبعد مرور ساعة من الزمن، شرع أصغر الأطفال في الشكوى قائلًا :

— أبي، إنني مُتعب، لا أقدر على الصمود هكذا لفترة طويلة !

أجابه أنانسي :

— اقفز من الشجرة يا بني، فذلك الشخص في الأسفل ليس إلّا زوج أختك !

كان لدى أنانسي أمل في أن السيد ديدي سينصرف إلى أشغاله الأخرى بعد هذه التضحية التي بذلها. فسقط الطفل عن الشجرة وقضى السيد ديدي عليه. وواحدًا تلو الآخر، جعل أبناء أنانسي الأحد عشر يتدهورون من الشجرة فيقتلهم السيد ديدي.

وجاء الدور على ساوينا. سقطت فاستقبلها السيد ديدي بضربة من سيفه.

وبعد انقضاء ساعات، بدأ أنانسي يحس تنميلًا في يديه، وألقى بنظرة إلى أسفل، فألفى السيد ديدي مرابطًا هناك ! كان ينتظر في صبر انهيار آخر ضحية.

ولكن، لم يكن أنانسي يرغب في أن يلقى نفس مصير زوجته وأبنائه. وراح ينبش في مخّه عساه يجد مكيدة تُخلّصه من ورطته. وبعد برهة، أخذت ذراعاه في الارتعاش. وفي اللحظة التي كان سيفلت فيها قبضته، راودته حيلة أخيرًا ! فقال :

— هيه، يا سيد ديدي !

— ماذا تريد مني يا أنانسي ؟

— أحس بالتعب وأعتقد بأنك انتصرت لأنني سأسقط قريبًا ! ولكن يجب عليّ أن أنبّهك أنني صرت ضخم الجثة بعد كل ذلك اللحم الشهي الذي التهمته في الشهور القليلة الماضية.

قال السيد ديدي في دهشة :

— وماذا في ذلك ؟

— حينما أسقط وأُسحق على الأرض، سينتشر الشحم والدهن المتراكم في جسدي على التّراب، ولن تستطيع شَوْيَه أبدًا !

فاستعجب السيد ديدي وهو في قمّة الانزعاج :

— لم أفكّر في ذلك ! كيف نستطيع تدبّر هذا الأمر حسب رأيك ؟

ردّ أنانسي :

— إن الأمر بسيط جدًّا ! اجعل كومة كبيرة من الرماد أسفل الشجرة. أعتقد أن هذا سيخفّف كثيرًا من شدّة السقطة.

جلب السيد ديدي كيسًا كبيرًا مليئًا بالرماد، ونثره عند سفح شجرة المانجو. وعندها قال أنانسي :

— الآن، افتح عينيك جيّدًا لأنني سأقفز.

فتح السيد ديدي عينيه على وسعهما. ووثب أنانسي بكلتا قدميه فأثار غمامة من الرماد التي أعمت السيد ديدي. وطفق هذا الأخير في السعال، وفرك جفنيه، وتلفّظ بأسوإ الشتائم؛ فقد أوقعه أنانسي الماكر في حبائل حيلته مستهزئًا به !

وعندما استعاد السيد ديدي بصره، كان أنانسي قد توارى عن الأنظار مبتعدًا !

وهكذا خرج « الموت » من الغابة الكبيرة بسبب أنانسي !

والآن، يستمرّ الموت، الذي لم يُزايله الغضب من أنانسي بعد، في ملاحقته البشر الواحد تلو الآخر واضعًا حدًّا لآجالهم في لحظة من لحظات حياتهم.

ماكالي وثعبان الأناكوندا

(من أساطير الوايانا)



يُعدّ ثعبان الأناكوندا بطل العديد من الأساطير الهندية المُتداولة بين قبائل الوايانا، ويعتبرونه حيوانًا مُقدّسًا هو أصل كل البشر.

يُروى أن فتاةً تُدعى ماكالي صارت في سنّ البلوغ، فقرر أبواها أن يُدخلاها في امتحان الماراكي[1].

---

1. ماراكي : امتحان تحضيري عند قبائل هنود الوايانا يُجرى للفتاة التي تمر من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة.

وقالت لها أمّها :

— إنّ هذا أهم امتحان في حياة الفتاة لدى شعب الوايانا. ستتعرّضين لوخز نمل الإلاكا[1] ثم ستُحجزين مدّة خمسة أيام دون أكل أو شرب.

لقد سبق لمكالي أن شاهدت مثل هذا الامتحان، وقرأت على ملامح الفتيات اللاتي يكبرنها المعاناة التي قاسَيْنها عندما كانت مخالب وإبر النمل تلسع جلودهن. وكانت تَرَاهُنّ يَغِبْن عن الوعي تحت وطأة اللدغات اللاذعة. إنها تذكر « أكايوايبين » التي لم تُفق إلا بعد أربعة أيّام من الحُمّى.

ومع ذلك، كانت مكالي توّاقةً لذلك اليوم بسبب الاستعراضات والحفلات والألعاب التي تُقام بالتزامن معه.

عشيّة الامتحان، قصّت لها أمها شعرها. وباتت القرية الليل كلّه في الرقص. ونامت ماكالي نومًا مضطربًا، حيث رأت في حلمها ثعبان أناكوندا ضخمًا يتسلّل من تحت كوخها وينسلّ في فراشها. وتكرّر هذا الكابوس ثلاث مرّات في تلك الليلة، فكانت تهبّ من نومها على إثره مفزوعةً.

مع حلول الفجر، باشر جدّ ماكالي في ترتيل أغنية « كالو » التي يقول مطلعها :

1. إلاكا : نمل ذو لسعات حارقة جدًّا.

— كايايامانانى !

ارتعدت فرائص ماكالي، فالامتحان يوشك على الانطلاق. توجّهت إلى ساحة الاحتفال، ثم نزعت جدّتها قلائدها المزيّنة بالخرز والأسنان، وشجّعتها بكلماتٍ لطيفةٍ. وإثر ذلك ألبسها زعيم القرية سترة كونان التي تحمل بين طيّاتها خمسين نملة من نمل الإلاكا. وعلى الفور شعرت ماكالي بألم لا يُطاق، ولكنها حافظت على رباطة جأشها.

وفي ذلك المساء، انعزلت الفتاة داخل كوخها حيث ستمكث خمسة أيام محرومةً من الأكل والشرب. وعندما انتصف الليل، انساب طيفٌ ضخم أسفل السقف المصنوع من سعف النخيل، وسمعت ماكالي صوتًا ناعمًا يوقظها، فسألت مرعوبةً :

— من أنت ؟

— لا تخافي يا ماكالي. لقد قدمت من قرية مجاورة لأخفّف عنك معاناتك.

لمحت ماكالي عبر النّور الخافت فتًى ذا طلعة بالغة في البهاء، كان يُشعّ جمالًا لا مثيل له ؛ فوضعت يدها على قلبها لاحتواء الذعر الذي اعتراها، وعندها قال لها الفتى :

— هل أستطيع المكوث معك ؟

— إن كنت تُريد ذلك !

— سأساعدك على تحمّل لسعات النمل اللافحة.

وهكذا، أمضيا الليلة سويًا.

مع إشراق الفجر، اقترب والد ماكالي من الكوخ الذي تقبع فيه ابنته. وسألها :

— لقد سمعت صوتًا خلال الليل، ألستِ وحدكِ في الكوخ ؟

ففنّدت ماكالي كلامه بنبرة مرتجفة، وقالت :

— لقد خُيّل إليك ذلك، فأنا وحيدة تمامًا.

شدّد الأب عليها قائلًا :

— هل أنتِ متأكَدة ؟

— ربّما تناهى إلى سمعك صوت حيوانات الأرماديلو المدرّع وهم ينبشون الأرض قرب النهر.

عاد الوالد أدراجه غير أنه لم يكن مُغفّلًا ليُصدّق قولها !

في الليلة الموالية، استقبلت ماكالي زيارة الفتى مجدّدًا، وعند الفجر، أقبل والداها على باب كوخها، وقال الأب في ثورة من غضب :

— قولي لي، من أمضى الليلة معك ؟

لم تستطع ماكالي الاستمرار في الكذب، واعترفت :

— إنه فتى جاء من قرية مجاورة...

وسألت الأم :

— وما اسمه ؟

— لم يُخبرني عن اسمه.

وعند مغرب الشمس، جلس والدا ماكالي على مقربة من كوخ ابنتهما يريدان معرفة المزيد حول هذا الفتى الوقح.

وحينما انتصف الليل، برز من الغابة ثعبان أناكوندا عملاق واتخذ سبيله ببطء نحو الكوخ. وأمام أنظار الوالدين المذهولين، انسلّ الثعبان بجسده الملتوي داخل فراش ماكالي.

وسرعان ما فهم أبو الفتاة ما حدث : إنّ الأناكوندا يمتلك قدرات سحرية، فاتّخذ شكل فتًى جذّاب لكي يخدع ابنته.

وفي داخل الكوخ، استردّ الثعبان صوته البشري وقال :

— هل يشكّ والداك في شيء ؟

ولم يُمهل الأب ابنته وقتًا كي تُجيب، حيث برز إليهما مسلّحًا بقوسه، وعلى الفور، انهال على الثعبان بوابل من السّهام ثقبت جسده وجعلته كالغربال.

ومع مرور الشهور، ما انفك بطن ماكالي يكبر. وذات مساء، أنجبت عشرة ثعابين أناكوندا صغيرة، ثم لم تلبث طويلًا حتّى ماتت. أمّا الثعابين الصغيرة فقد غاصت في مياه النّهر الصاخبة مخافة أن يقتلهم الإنسان الذي قضى على والدهم. ويُقال أن العداوة بين البشر والأناكوندا قد نشأت منذ ذلك اليوم.

انتقام السّلحفاة

(من حكايا الكريول)



ذات يوم جميل، استدعى ملك « كايان » رعيّته للقائه، وجمع أهل المدينة وضواحيها عن بكرة أبيهم داخل القاعة الكبرى في القصر ؛ فجعل الجميع يتساءلون عمّا يريد الملك، ذلك أنه نادرًا ما كان يستدعي شعبه الصغير إليه.

بدا ملك « كايان » في قمّة السّخط. تنحنح وسعل ثم قال :

— منذ بعض الوقت، بدأت الحيوانات تختفي من مزرعتي المَلكية في ظروف غامضة. بالأمس، اختفى ثور، واليوم

حمار. وسبق أن فقدت عشرةً من الغنم، ومعزاة واحدة، وبقرة من نوع الدرباني، هذا بغضّ النظر عن الدجاج والبط المختفي.

يحدث هذا على الرغم من أنّ مزرعة الملك محروسة حراسةً شديدة ! ولكنّ كلاب الراعي كانت عاجزة عن مواجهة السارق الذي يزور كل مساء خمّ الدجاج وقطعان الماشية ليسحب حصّته اليومية من اللحم.

وأضاف الملك الغاضب :

— لقد دامت هذه الوضعية المُكدّرة أطول مما ينبغي. ولذا قررت تقديم مكافأة لمن يتمكن منكم أن يأتيني بجلد سارق الماشية المُشين هذا.

سادت الغمغمات والهمهمات وسط الحشد :

— سارق الماشية ؟

— ليس هناك داعٍ للبحث بعيدًا جدًّا !

في الواقع، كان الجميع، فيما عدا الملك، يعرفون هويّة المُذنب ومنذ وقت طويل. ولكن لا أحد تجرّأ على الإبلاغ عنه خشية التعرض لانتقامه، ذلك أن المعني لم يكن إلاّ نمر اليغور المدعو « تيغ »، أكثر حيوانات الغابة قوّة ووحشية ! غادر كل سكّان القرية وما جاورها القاعة الكبرى في القصر، وهم على قناعة من أن المكافأة التي وعد بها الملك لن

تثني نمر اليغور تيغ » عن المضي إلى مخزن طعامه الثمين ليأخذ بعض الأكل منه.

وكانت السلحفاة الوحيدة التي عادت إلى بيتها وقد ارتسمت على مُحيّاها ابتسامة ماكرة. لم تكن مستعدّة لنسيان إساءة النمر « تيغ » لها، حينما تهكّم عليها وعلى بُطء حركتها والقشرة القبيحة التي تحملها على ظهرها. وأخيرًا حان وقت الأخذ بالثأر، و فوق ذلك، تحصل على مكافأة قيّمة.

ولكن السيدة سلحفاة لا تستطيع مواجهة قوّة وجبروت النمر « تيغ ». فباتت ليلتها في التفكير، واهتدت أخيرًا إلى خطّة جهنّمية للتخلّص نهائيًّا من عدوّها.

في صباح اليوم الموالي، قصدت السلحفاةُ الثعبانَ المجلجل المسمى « غراج ». ووجدته غافيًا على جذع شجرة. وحينما لمحها تقترب أصدر فحيحه سائلًا :

— سسسسسس ... ماذا تريدين منّي يا ابنة العم ؟

— « غراج » يا ابن عمي، لقد رغبت منذ مدّة في أن أدعوك على العشاء، فهل تلبّي دعوتي إذا ما طبخت لك اليوم طبقًا شهيًّا من أطباق السلطعون المحشي ؟

فالتمعت عينا الثعبان المجلجل « غراج ». لم يكن يخفى على أحد في الغابة مواهب السلحفاة في الطبخ، فقدْ

أطبقت شهرة طبق السلطعون المحشي الذي تحضّره الآفاق.
وقال الثعبان :

— سيكون ذلك من دواعي سروري. وبالتأكيد سأحضر.

فطفقت السيدة سلحفاة تفرك بين أقدامها.

لاحقًا، قصدت السلحفاة بيت النمر « تيغ ». فاستقبلتها رائحة مُروّعة للحم فاسدٍ تسرّبت إلى مناخيرها، وكانت جحافل الذباب قد انتهت من تنظيف كامل الجثث المكوّمة عند عتبته. سَدّت أنفها، ودقّت على الباب، فسمعت صوته يقول :

— غروووووووواااااارررر ! من هذا الذي يوقظني في هذا الوقت ؟

قالت السلحفاة :

— أنا السلحفاة، يا أيها المحترم « تيغ ».

— ماذا تردين منّي، يا قوقعةً تمشي على أقدام ؟

بذلت السلحفاة قُصارى جهدها لتظلّ مُحافظةً على تهذيبها، وقالت :

— سأقيم حفلة صغيرة هذا المساء. وبما أنني أعلم أنك ذوّاق، فقد فكّرت في دعوتك.

فقال النمر مستفهمًا :

— وما ألوان الطعام التي ستقدّمينها ؟

— أوه، ليس بالشيء الكثير، فقط بعض السلطعون المحشي من صنع يدي.

وثب النمر « تيغ »، وجعل يلحس أنيابه، ثم قال :

— سلطعون محشي من صنع يد السيدة سلحفاة ؟ سألبّي الدعوة بكل سرور، وحضوري أكيد.

اشتغلت السيدة سلحفاة أمام الأفران طيلة الظهيرة. دلّكت السلطعون وغسلته عشر مرّات، ثم غلته. وبعدها أزالت قشوره، وأضافت الملح والفلفل وجوزة الطيب...ثم انتقلت إلى تحضير الحشوة التي رشّتها رشًّا غزيرًا بمشروب الروم، ووضعتها في النار.

وفي المساء، كان الثعبان أوّل من وصل إلى بيت السلحفاة، وقال :

— مساء الخير يا ابنة العمّ.

— مساء الخير يا ابن العم، تفضل، وطئت أهلًا وحللت سهلًا.

ثم وصل النمر « تيغ » بدوره، ودخل إلى بيت السيدة سلحفاة. وألقى تحيّة باهتة على الثعبان (ذلك أن لا أحد في الغابة يحبّ هذا الحيوان الزاحف)، ثم جلس في مواجهته.

في وسط الطاولة، وُضع قِدرٌ ضخم تتصاعد منه أكاليل من البخار ذي الرائحة الزكيّة. قدّمت السيدة سلحفاة التي تجمّلت لهذه المناسبة الطعام لضيوفها، ثمّ جلست في مكانها. كانت قد أخرجت أفضل القارورات من المشروبات المُسكرة، وجعلت تقدّم الشراب لـ « تيغ » و « غراج » الواحد تلو الآخر مُجبرةً إيّاهما على الشرب. وحينما شارفت السهرة على الانتهاء، باشرت السلحفاة تتكلم في موضوع غريب، وخاطبت « تيغ » أوّلًا :

— يا « تيغ » المحترم، يُشاع في الغابة الكبيرة أنك لا تحتمل أن ينظر أحدٌ في عينيك مباشرة. هل هذا صحيح ؟

زمجر النمر « تيغ » فاهتزّ بيت السلحفاة المتواضع. ثمّ ضرب بقبضته على الطاولة، فأمسك الثعبان المجلجل « غراج » بصحنه الذي كاد يسقط أرضًا. وصاح الحيوان السنوري وهو يستشيط غضبًا :

— غروووواااااارررررر ! لا أحد يجرؤ أبدًا على مواجهة نظرتي، لأنني كنت سأقتله على الفور !

وبعدها، وجّهت السيدة سلحفاة خطابها إلى الثعبان المجلجل « غراج » :

— وأنت يا ابن العم، ما أكثر شيء تكرهه في الدنيا ؟

— أنا، أكثر ما أكره أن يُداس على جسدي. فذلك الذي يضع أقدامه عليّ يشقّ طريقه مباشرة إلى الموت الحتمي لأن سُمّي القوي لا يرحم أبدًا !

وهكذا، أصبحت السيدة سلحفاة تعلم ما بقي عليها أن تفعله. فذهبت إلى قبوها وأحضرت آخر زجاجة من مشروب البورجوندي المُسكر والتي أهداها إيّاها أحد أقربائها في فرنسا. فتحتها، وقدّمتها لضيوفها كاملةً.

حينما انتصف الليل، كانت حال « تيغ » و « غراج » في الحضيض ! لقد أفرطا في الشرب، وصارا يَحْبُوَان تحت الطاولة تقريبًا ؛ ففكّرت السيدة سلحفاة أن اللحظة قد آنت لختم السهرة وإرواء غليلها بالانتقام، فقالت :

— حسنًا يا أصدقائي، لقد أمضيت صحبتكما سهرة رائعة. أدعو الله أن تُعاد مرّة أخرى.

ورافقت المدعوَّين إلى غاية الباب، فشكرها « غراج » قائلًا :

— شكراً يا ابنة العم، لقد كان الطعام ممتازًا !

وقال « تيغ » ملاحِظًا :

— نادرًا ما أكلت طعامًا طيّبًا كهذا.

وبالكاد عبَر الضيفان عتبة باب المنزل حتى أرسلت السيدة سلحفاة ركلة إلى مؤخرة النمر « تيغ ». فالتفت هذا الأخير

بشكل مفاجئ مصدومًا، فوجد نفسه قُبالة « غراج » الذي ما إن اعتدل برأسه حتى وقعت عيناه مباشرة في عيني « تيغ ». ولم يحتمل النمرُ هذه الاهانة، فسحق الثعبانَ بضربة قوية من قدمه. ولكن الموت أمهل « غراج » بعض الوقت حيث غرس أنيابه المدبّبة في قلب النمر الذي سقط صريعًا بفعل سمّ الثعبان المجلجل.

في صباح الغد، أقبلت السيدة سلحفاة على الملك حاملةً فوق قوقعتها جلد عدوّه. وقالت له :

— هذا كل ما تبقى من سارقك يا جلالة الملك !

قال الملك بتعجب وقد عرف جلد نمر اليغور المرقّط :

— تيغ ! كيف لم أشكّ فيه ؟

فأجابت السلحفاة :

— مع أن الجميع كان يعلم. لكن، لا أحد من رعاياك أبدى جسارةً أو فكّر في حيلة لمهاجمة هذا السنّوري المقيت.

وأردف الملك :

— بما أن الأمر كذلك، فسأضاعف لك المكافأة.

شكرت السيدةُ سلحفاة الملكَ وأحنت له رأسها إجلالًا. لقد كان ذاك اليوم أجمل أيّام عمرها حيث أضحت صاحبة ثروة ضخمة، ناهيك عن أنها تخلّصت من أعدى أعدائها.

القرد الأحمر والقرد الأسود

(من حكايا الزنوج المارون)



تلتقي قرود « الكواتا » (أو القرود العنكبوتات) مع « البابون » (القرود النابحة) وبأعداد غفيرة في الغابة الغوايانية. ومن خلال هذه الحكاية، يشرح الزنوج المارون السبب وراء خوف البابون من الكواتا وفرارهم باستمرار كلّما اقتربوا منهم.

« ديلينتين...
دايتين ! »
القرد الأحمر والقرد الأسود، لم يكونا على هذا الشّكل من قبل !

منذ أمد بعيد (أي منذ نشأة الكون) كان التفاهم المُطلق يجمع بين القرد النابح « البابون » وقريبه القرد العنكبوت « الكواتا ». وقد دأبا على اقتسام ثمار الشجرة الواحدة وتبادل الزيارات والنّقاشات العفوية حول الطقس الماطر والصاحي وآخِر مستجدات الغابة الكبيرة.

وقد حدث هذا بالرغم من أنّ طبيعتي هاذين المخلوقين متباينتان جدًّا ! ويمكننا التأكيد على أنّه لم يكن بينهما أيّ وجه شبه.

كان الكواتا ذا طبع حكيم. في النهار، كان يتنقل مع أسرته بهدوء من شجرة إلى أخرى بحثًا عن الطّعام. وعند حلول المساء، يخلد إلى النوم في مأمن بين أوراق الشجر كي يسترجع قواه ونشاطه للغد. وكان من السهل التعرف عليه عبر بزّته الحمراء التي كانت تثير غيرة الكثير من أهل الغابة.

لم يكن البابون بمثل جدّية الكواتا، بل على العكس ! إذ لم يحدث أن فوّت أيّ فرصة للاحتفال مع رفاقه. وكل مساء، يخرج ويشرب ويرقص حتى الفجر. وخلال الكرنفال، كان يشارك في كل فعاليات الرقص. وعند شروق الشمس، يأوي إلى فراشه ويغطّ في النوم طوال النهار مستلقيًا فوق أعلى فروع الشجر. وكان الجميع يتعرف عليه بسهولة أيضًا عبر بزّته السوداء العتيقة المعثوثة والمرقّعة.

وفي خضمّ أمسية شيطانية حافلة بالسُّكْر، تعرّف البابون إلى بسينا، وهي آنسة ذات نظرة ساحرة جعلت قلبه يتعلق بها بسرعة. وعند منصف الليل، عرض البابون العاشق المبتهج على بسينا الزواج، فقال :

— بسينا، هل تقبلين الزواج بي ؟

حدّقت بسينا بقرف في الأسمال البالية السوداء المعثوثة والمرقعة التي يرتديها البابون، وأجابته :

— أوافق، ولكن على شرط واحد !

— ما هو ؟

اقتربت منه وهمست في أذنه :

— يوم زفافنا، لا بد أن تغيّر هذا اللباس القبيح !

فوجئ البابون بهذا الطلب، وسألها :

— وما هو اللّباس الذي يجب أن أرتديه إذن ؟

— يجب أن ترتدي بدلة وسروالًا أحمرين كي يتلاءما مع فستاني البرتقالي ! هذا قراري !

أدرك البابون أن لا خيار أمامه غير تنفيذ طلبها، وقد قضّ هذا الأمر مضجعه لأنه لا يملك مدّخرات كافية لاقتناء بدلة جديدة.

وخلال أيام وأيام، بحث البابون في الغابة عن زيّ أحمر يناسب قامته. ولكن بدلة أنانسي العنكبوت صغيرة جدًّا، وبدلة السنجاب مليئة بالبراغيث والقراد. كما أنّ بدلة آكل النمل تنبعث منها رائحة نملٍ قوية. أما حيوان الأغوطي فقد رفض إعارته بدلته رفضًا قاطعًا. وحينما حلّ يوم زفافه، لم يكن البابون قد عثر بعد على طلبه ومبعث سعادته.

بينما بدأت آخر أضواء النهار في الأفول، كان البابون يجوب الغابة الكبيرة إلى أن بلغ مسكن الكواتا. وجده مستلقيًا في هدوء فوق أعلى أغصان شجرة من أشجار القابوق. كان القرد العنكبوت قد نام لتوّه. ولكنه، لمّا رأى البابون في الأسفل، نهض ومطّ ذراعيه الطويلتين إلى السماء.

سعل البابون سعلة ثم قال :

— صباح الخير، يا ابن العم كواتا !

— تحية طيبة يا ابن العم بابون. ما الذي جاء بك إلى مسكني في هذا الوقت المتأخر ؟

— حسنًا، سأتزوّج هذا المساء.

ضحك الكواتا ملء أشداقه، وقد انكبّ على وجهه وشدّ على أضلاعه. ثم قال :

— أنت، تتزوج ؟

— اسمها بسينا.

— وستضع حبل المشنقة على رقبتك !

قال البابون مفنّدًا :

— إنها جميلة جدًا، أميرة حقيقية. لديها عينان... عينان...

— أرى بأنك هائم في حبها. ولكن أجئت تباغتني في مضجعي كي تبلّغني بهذا النبإ السّار ؟

فرك البابون على ذقنه. وتطلّع بطرف عينه إلى بدلة الكواتا الحمراء الرائعة وهي معلقةٌ على المشجب. وقال له :

— في الحقيقة، لدي طلب أريدك أن تلبيه لي.

— لا تتردّد يا ابن العم. أنت تعلم بأنني لم يسبق أن رفضت لك طلباً !

— لقد اشترطت عليّ بسينا أن أرتدي بذلة حمراء يوم زفافنا. ومشّطت الغابة بحثًا عن واحدة...

أسدل البابون ذراعيه وتنهّد ثم أضاف :

— ... ولكن لم أجد شيئًا.

أومأ الكواتا برأسه، وقال دون حتى أن يمهل ابن عمه بعض الوقت لصياغة طلبه :

— لا عليك ! يمكنك أخذ بدلتي ! فلدينا نفس القامة تقريبًا. وأنا متأكد من أنها ستأتي على مقاسك تمامًا.

قفز البابون فرحًا وهو يقول :

— كيف لي أن أشكرك ؟

قطّب الكواتا جبينه وقال :

— سأعيرك إيّاها على شرط واحد.

— ما هو ؟

— أن تعيدها إليّ غدًا قبل انتصاف النهار ! وإذا تجاوزت هذا الأجل، اعتبر صداقتنا مُنتهية.

وعده البابون وأقسم له بأبيه وأمه، ثم قال :

— هذا وعدٌ منيّ يا ابن العم ! غدًا قبل الظهر، سأحضر لك بزّتك !

أزال البابون وهو يرتجف فرحًا بدلته القديمة السوداء المعثوثة والمرقّعة وألقاها بإهمال على مشجب الكواتا. ولبس على عجل زي ابن عمه الأحمر المذهل.

وذهب البابون متوشّحًا هذه البزّة إلى الكنيسة ليتمّ زواجه على يد أسقف مدينة كايان شخصيًا. وعقب المراسم أقيم حفلٌ مشهود لا يُنسى. رقص البابون طول الليل، وأفرغ وحده زجاجتي شراب مُسْكر معتّق. وعند بواكير الصباح، خلد إلى النوم !

لم تتمكن أشعة الشمس اللافحة من إيقاظ البابون. إذ كان مُستلقيًا على أغصان إحدى الأشجار وهو يشخر متدثرًا في بدلته الحمراء الأنيقة وأحلام الحفلة تراوده.

ودقّت ساعة الكنيسة مُؤذنةً بحلول الساعة الحادية عشرة. ثم الحادية عشرة والنصف، ثم منتصف النهار !

« دونغ ! دونغ ! دونغ... »

وهبّ العريس الشاب مذعورًا على وقع دقّات الساعة الثانية عشر، وصرخ :

— كواتا !

ولكن الوقت قد فات. فقريبه يقطن بعيدًا عن المكان الذي يوجد فيه، ولن يستطيع البابون أبدًا أن يصل في الوقت المحدد كي يرجع له ملابسه.

وفي يومنا هذا، يمكن للمرء أن يتعرف بسهولة على الكواتا بزيّه الأسود البالي المعثوث والمرقع. في حين يرتدي البابون البدلة الحمراء التي لم يُعِدها سلفه إلى صاحبها الحقيقي أبدًا. ومنذ ذلك اليوم، نشبت عداوة ضارية بين قرود البابون وقرود الكواتا.

فخامة الدّيك



ذات زمان، حكم نمر اليغور « تيغ » الغابة الكبيرة باستبداد. وكان يكفيه أن يرفع أصبعه كي ترتعد فرائص الجميع. وما كان أحدٌ يجرؤ على مخالفة أوامره.

ويُقال أنه كان يُنظّم مأدبة فاخرة في أول أربعاء من كل شهر يدعو إليها نبلاء القصر كي يكسب ودّهم.

جاء يوم الوليمة، فقَدِم الضّيوف في بزّاتهم الرّسمية الباهية، وكان هناك الخنزير « مايبوري » وآكل النمل وتمساح الكايمان وثعبان الأناكوندا وقرد الكواتا وحيوان الدلق المدعو « تايرا »، وثعبان البواء المسمى « أبوما » وغيرهم.

نُصبت طاولةٌ ضخمة في الحقل الملكي. وعلى غطاء مصنوعٍ من الأوراق المَجْدُولَة لنبات الكومانا، وُضعت ألوانٌ من اللحوم والأسماك المطهيّة بمختلف الطرق والتي شكّلت جبلًا حقيقيًّا تتصاعد منه الأبخرة.

احتل نمر اليغور « تيغ » مكانه على العرش، ثم دعا ضيوفه للجلوس وقال :

— استمتعوا !

ودوّى صوت رنين شوكات الطعام وقعقعة الكؤوس، وسرعان ما ساد المكانَ جوٌّ من الاسترخاء، وجعل كل واحد حسب شهيته في تذوّق أطباقٍ رائعةٍ حضّرها لهذه المناسبة أعظم طبّاخي القصر.

وانتهز النمر « تيغ » الفرصة لملء بطنه. بحيث التهم فخذي ظبية وثلاث بطّات وسيخ من سمك الكومارو[1]. ثم تجرّع كأسًا كبيرة من الشراب وغرس شوكته في سمكة أيمارا[2] ممزوجة بعصير الليمون الأخضر. فتح فمه الغائر وتهيّأ لابتلاع السمكة. وعندها أطلق زمجرة مروّعة أرجفت الطاولة وكلّ المدعوّين.

---

1. كومارو : سمك يعيش في المياه العذبة معروف بلحمه الطيب.

2. أيمارا : سمكة مفترسة كبيرة تعيش في الجداول والأنهار، ولحمها ذو قيمة غذائية معتبرة.

— غرررووواااررررر !

فانسكب ما كان بداخل كأس آكل النمل، فيما أطلق خنزير البيكاري المرتعب لرجليه العنان هاربًا. أمّا الأناكوندا فقد زحف تحت الطاولة. وعندها قال قرد البابون صاحب الفندق في قلق :

— ماذا جرى ؟

لم يكن في وسع المستبدّ النطق بأيّ كلمة، وأشار إلى البابون أن ينحني كي يسمعه. وهمس :

— لدي... شوكة عالقة في حلقي...بالكاد أستطيع التنفس !

هذه أول مرّة يحصل فيها مثل هذا الحادث بمناسبة الوليمة.

قال البابون :

— شوكة في حلق جلالتك !

— يجب أن أشرب... عدّة لترات من الماء كي أزيحها !

أعاد البابون على مسامع الحضور كلمات المُستبدّ بحذافيرها. وبدأ النمر « تيغ » يحسّ بالاختناق، وبات من الضروري التصرّف بسرعة. وهكذا غادر المدعوون الطاولة على عجل واتجهوا صوب النهر لجلب الماء.

ولكن، ما إن وصل نبلاء القصر إلى الشاطئ حتى استقبلهم نقيق ما يسمى بضفادع الثيران وهو نوع من الضفادع كبيرة الحجم :

« كووووووووا !كوووووووا !كوووووووا ! »

وكانت ألاف الخنافس تردّ على هذا النقيق في صرير واحد :

« كريييييك ! كريييييك ! كرييييييك ! »

وحينها تراجع آكل النمل خطوة إلى الوراء وقد أرعبه هذا الضجيج الكبير. وغمغم الكواتا مرتجفًا من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، فقال :

— إنها أشباح المياه.

وتبنّت تايرا نفس هذا الرأي، فأضافت :

— إذا...إذا اقتربنا أكثر من النهر، فسوف...سوف يأكلوننا !

قال المايبوري :

— لنهرب من هنا !

وقال الكواتا في قلق :

— ولكن، ماذا عن الماء للملك ؟

فردّ الكايمان :

— فليتدبّر أمره بنفسه !

وعاد النبلاء أدراجهم في عجلة من أمرهم، ووصلوا إلى الحقل الملكي دون أن يحملوا معهم ولا قطرة من الماء. وامتثلوا بين يدي الملك بجرارهم الخاوية وهم في حالة تثير الشفقة.

أخذ ثعبان البواء « أبوما » الكلمة، فقال :

— إنّنا في غاية الخجل يا سمو الملك. ولكن أشباحًا مخيفةً شريرة منعتنا من الوصول إلى النهر.

استشاط النمر « تيغ » غضبًا لدى سماعه هذا الكلام، وصرخ :

— يا لَكُم من جبناء !

كان صراخه شديدًا ممّا جعل الشوكة تغوص أعمق في داخل حنجرته ؛ فأرداه الألم طريحًا على الأرض مثل كيس حبوب حقير. وراح يتدحرج تحت الطاولة وهو يئنّ :

— مممممممممه ! أرغنننن !

وأقسم قائلًا :

— سأقتلكم جميعًا !

وهكذا لاذ الضيوف بالفرار داخل الغابة وقد استبدّ بهم الرعب. وألفى النمر « تيغ » نفسه وحيدًا برفقة المُصيبة التي ألمّت به.

كان السيد ديك والسيدة دجاجة وصيصانهما قد شهدوا ما حدث منذ البداية بعد أن اجتذبتهم الضوضاء الكبيرة إلى غاية الحقل الملكي.

ويجدر القول بأن السيد ديك في ذلك الحين كان طيرًا حقيرًا من فصيلة الدواجن، يكسوه ريش لونه ضارب إلى الرمادي،

ولم يكن لديه عرفٌ على رأسه ولا صِيَاص على رجليه ولا خصلة شعر متموّجة لامعة، ولكنه كان معروفًا في المملكة ببسالته وجرأته.

عندما رأى الديكُ النمرَ « تيغ » في هذا الكرب، أبى إلا أن يستجيب لصوت الشجاعة في داخله، وهرول ناحيته قائلًا :

— ألهذا الحدّ، إذن، تخافون، أنتم أهل القصر، من أشباح النهر الشرّيرة ؟

زمجر الملك وقال :

— يبدو أنّ الأمر كذلك.

— حسنًا، أنا الدّيك جاهز لتحدّيهم من أجل أن أجلب لك الماء الذي سينقذ حياتك.

قال الملك في اندهاش :

— كيف ؟ أنت، الحيوان الصغير الذي لا يملك أيّ وسيلة دفاع ؟

— إذن، ضع ثقتك فيّ !

— فليكن ! إن استطعت أن تخلّصني من هذه الشوكة، فسوف أمنحك كلّ ما تريد !

وعلى الفور، انطلق السيّد ديك مرفوقًا بالسيدة دجاجة وصيصانهما. وحالما بلغوا شاطئ النهر استقبلهم نقيق ضفادع الثيران : « كوووووووووا ! كووووووووا ! كوووووووا ! »

وآلاف الخنافس تردّ عليهم في صرير واحد : « كريييييك ! كريييييك ! كرييييييك ! »

كان الديك يعرف هذه الأصوات جيّدًا، ذلك أنه كان يأتي كل مساء إلى الشاطئ ليتلذّذ بأكل الصراصير. قتل السيد ديك والسيدة دجاجة بضربة من منقاريهما بضع عشرات من الصراصير وأتخما بها معدتيهما. وعندما أطفآ جوعهما، ملآ الجرار بالماء العليل وعادا إلى مقر إقامة الملك.

وبينما كان الملك يشرب من الماء بكميّات كبيرة، قال له الديك في اعتزاز :

— نحن، السيد ديك والسيدة دجاجة والصّيصان، هزمنا الأشباح الشرّيرة !

وسرعان ما جرفت سيولُ المياه المتدفّقة عبر حلق الملك الشوكةَ الخطيرة. وأخيرًا هدأ الملك، فتنفس الصعداء وجلس على عرشه ثم قال بنبرة مَلَكية :

— إنّي أهنّئك على شجاعتك يا سيد ديك. وآن الأوان لأن أبرّ بوعدي لك. اطلب ما تريد وسأمنحك إيّاه !

نفخ السيد ديك حوصلته وقال :

— أرغب في أن أصبح أجمل طير في خمّ الدواجن !

أجاب الملك :

— فليكن لك ذلك !

وسرعان ما أعطاه ريشًا ذا ألوان زاهية، وخصلة متموّجة لامعة وعُرفاً متلألئًا، كما زوّد قوائمه بصِيَاصٍ قويّة.

وهكذا أضحى الديك ملكًا على خمّ الدّجاج.

فهرس

أنجز طبعه في أفريل 2019

على مطابع ع. قرفي - باتنــة - الجزائر